الثقافة ثراء وسيرورة لا تنتهي

الأسبوع الأدبي

www.awu.sy

الأسبوع الأدبي - "السنة الثلاثون" العدد: "1596" الأحد 2018/7/1م 17 شوال 1439هـ | 16 صفحة | 25 ل.س

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن تصدر عن اتحاد الكتاب العرب في سورية

•أ.د.نضال الصالح

الافتتاحية

باب الشام (٢)

من دمشق إلى بيروت كان الصباح نديّاً، ورائقاً، وضاحكاً لشمس تعابثه لتتجلّى، فيتجلّى أكثر، وكنت ساهماً في الجبال والوديان والسهول المترامية على طريق الطريق والروح تسبّح باسم الطبيعة الخالبة، والاستثناء، لكأنها قطعة من الجنّة، والقلب يرتّل: "جنّة الشام، بلاد الشام التي لم يُخلق مثلها في البلاد"، ثمّ أهزّ نخيل اللغة، فتساقط في القلب وعلى القلب رقصاً بهياً وطرباً بما خصّ الله به الشام من السحر الذي لا يشبهه سحر.

بعد سجال "تفضلتْ" الموظفة في مطار بيروت، المعنية بحقائب السفر، بالتأشير على الجواز متذرعة بأنّ تأشيرة الدخول إلى العراق يجب أن تكون أصلية وليست مصورة، وبين المطارين، بيروت وبغداد، كنت أرقب من نافذة الطائرة: البحر، فالصحراء، وأردد بصوت يخصني: "بلاد العرب أوطاني من الشام لبغدان"، ثمّ أرهف القلب للصدى: "لسان الضاد يجمعنا بغسان وعدنان"، وأحسب أنّ ما كان صدى كان قهقهة مريرة، وحزناً عالياً، وسؤالاً عن جرح موصول بجرح: "يجمعنا؟!"، فأجيب: "رغم أنفهما، سايكس وبيكو، رغم أنفها، أمريكا، رغم..."، حتى يلجم صوت المضيفة السؤال والجواب: "الرجاء ربط الأحزمة، سنهبط في مطار بغداد بعد قليل".

الثانية ظهراً بتوقيت دمشق وبغداد، والصفر بتوقيت القلب. يقول الضابط المسؤول في المطار: "لا يمكنك المغادرة قبل أن تراقب الجهات المختصة الكتب التي تحمل في حقيبة السفر". يتدخل الشاعر الذي كان في استقبالي، يعرّف بي، فيكرّر الضابط: "هذه هي التعليمات". وبين أخذ وردّ كنت أستعيد بديعة الجواهري التي كتبها بعيداً عن بغداد: "حيّيتُ سفحَك عن بُعد فحيِّيني، يا دجلةَ الخير يا امَّ البساتين"، ثم أصوّب عينين مستنكرتين نحو وجه الضابط، وأقول: "هذه كتب أدبية"، فيستعيد لازمته الشواظ: "لا بد من معرفة محتواها"، وأستعيد، بصوت القلب، بديعة الجواهري، حتى أبلغ قوله: "تصعّدتْ آهٍ من تلقاء فطرتها، وأردفتْ آهةٌ أخرى بآمين".

طوال الطريق من المطار إلى المدينة كنت أستعيد تحية مستقبلي (بكسر الباء): "الله بالخير"، وتضحك روحي للكلمة التي كان يردّدها وأنا أكرر أمام الضابط: "هذه كتب، وليست سلاحاً نووياً"، أعني كلمة: "تدلل"، وأطارد، بعينين لاهثتين، كل ما على جانبي الطريق من نخيل، وأبنية، وشعارات لأحزاب مختلفة، وأنشج بصوت لا يسمعه سواي، كما نشج السيّاب وهو يقول: "إنّي لأعجبُ كيف يمكن أن يخون الخائنون. أيخونُ إنسانٌ بلاده؟ إنْ خان معنى أن يكون، فكيف يمكن أن يكون؟".

لم أر بغداد التي قرأت عنها، وثقفت تاريخها، وأدبها، ونخيلها الشامخ، رأيت دجلة آخر، وجدارية جواد سليم أخرى، وجسر رصافة آخر، وكرادة أخرى، وباب معظم آخر، وساحة كهرمانة أخرى، وشارع متنبي آخر، و.... ولولا كنت أسمع لازمة الناس في غير مكان ذهبت إليه: "الله بالخير"، ولازمتهم الأخرى: "تدلل عيوني"، لشككت أنني في بغداد، بغداد كما عرفت من قراءاتي عنها، ومن صورها في غير وسيلة إعلام، وكلما كانت روحي تستعر بالنشيج، كنت أردّد: "لو أنّك يا كريستوف كولومبوس لم تعبر المحيط الأطلسي إلى تلك القارة المجهولة، لو لم تكن أمريكا بعد ذلك، لو..."، ثمّ ما يزداد النشيج وطأة، وما يتعالى ضراماً، حتى تزدحم رئتاي بغبار.... (يتبع).

رواية (العتريس) والخيال المحلق

•إسماعيل الملحم ـ ص 7

الإنسان يدفع خطيئة وجوده!

•حنا عبود ـ ص 12

فلاديمير غريغوريف والمنديل القماشي

•عبادة تقلا ـ ص 13

الحداثة.. حتمية تاريخية

•د. عدنان عويد ـ ص 14

اللوحة للفنانة سلام الأحمد

أفيون الشعوب أم أفيون الشعب؟

•د. سليم بركات

دفعني للكتابة حول هذا العنوان موقف ماركس من الدين والتدين، والذي تلزم مناقشته بالحياد لمن يرغب بالتحدث عن فكر ماركس، حياد ليس بالأمر السهل، لأن الماركسية لا تظهر وتختفي من دون أن يترتب على ظهورها أو اختفائها نتائج نظرية أو عملية واضحة، والسبب أنها ليست مجرد تأملات نظرية يتخذ منها الإنسان موقفاً بالقبول أو الرفض وهو هادئ الأعصاب، وإنما هي فكر علماني محطم للحواجز بين الميدانين النظري و العملي، لأنه يزيل كل الفواصل بين التأمل والممارسة، فكر يثير في نفس من أراد أن يحكم عليه ميلاً إلى الرفض العنيف، أو القبول المتحمس، لأنه لا يقاس بالمقاييس العقلية وحدها.

كثيرون الذين حاولوا ومازالوا يحاولون الانقضاض على فكر ماركس حتى من دون الاطلاع عليه، أو التفكير فيه بطريقة محايدة، لا لشيء إلا لأن هذا الفكر يهدد مصالحهم، وفي الوقت ذاته نجد الكثيرين أيضاً ممن يتخذ هذا الفكر أداة للثورة متحمساً حتى الإفراط. الأمر الذي يؤكد عجز من يزن الأفكار الماركسية بميزان النقد المحايد، أو ينظر إليها من خلال الموازين التبريرية، والسبب في كل هذا صراحة هذه الأفكار ووضوحها.

في مجتمعنا العربي كان التشويه متعمداً لفكر ماركس، ومن جملة هذا التشويه عبارته الشائعة «الدين أفيون الشعوب» بينما هي في الحقيقة « الدين أفيون الشعب». عبارة شكلت السلاح الأقوى لمحاربة الأفكار الماركسية في الوطن العربي. ومن المفيد أن يعرف القارئ المعنى والظروف التي استخدم بها ماركس هذه العبارة، كي تتضح له الخلفية التي حددت موقفه من الدين، السياسي واللاسياسي. وكي يتسنى للقارئ أيضاً أن يحدد لنفسه موقفاً مبنياً على العلم والمعرفة.

وردت هذه العبارة «الدين أفيون الشعب» في كتاب ماركس «مقدمة لنقد الفلسفة» حيث يقول: « إن العذاب الديني تعبير عن العذاب الفعلي، وهو في الوقت ذاته احتجاج على هذا العذاب الفعلي، لأن الدين هو زفرة المخلوق المضطهد، وهو بمثابة القلب في عالم بلا قلب، والروح في أوضاع خلت من الروح، إنه أفيون الشعب».

من الملاحظ أن ماركس قد استخدم كلمة الشعب بصيغة المفرد لا الجمع كما هو شائع. كما من الملاحظ أيضاً أنه تحدث عن الدين ليكشف بوضوح دور التدين المعوّض للإنسان عما فقده في العالم الفعلي المحيط به، وتخفيفاً لما يعانيه من بؤس، إنه لا يقصد النقد أو التحامل أو التشنيع، وإنما يقصد التخفيف من المعاناة والظلم، لأن في التديّن عزاء للإنسان المطحون، وهو ضروري ما دامت الأوضاع التعسة التي يحياها قائمة. ومن ثمّ أليس من القسوة أن يحرم الإنسان المظلوم المضطهد من الأمل في حياة أخرى أفضل من حياته التعسة، أو أن يسلب الإيمان الراسخ من أن في الكون نظاماً للعدالة مهما استمهلت أو تأخرت هذه العدالة. من الواضح أن ما ينسب إلى ماركس قد فهم على أنه قد جعل من الدين أداة لخداع البشر، وإيقاعهم في حبائل الشر، ومن الواضح أيضاً أن ماركس لم يستخدم الدين بهذا المعنى، وإنما استخدمه بمعنى العزاء في عالم الاضطهاد والظلم، وبالتالي لا يوجد مفر للناس من الالتجاء إلى الدين للاحتماء به من الظلم الاجتماعي المحيط بهم. هذا التفسير ليس دفاعاً عن ماركس المعادي للدين أصلاً، وإنما إنصاف لتجربة عاشها في مرحلة تاريخية لها ظروفها التي لا تختلف فيها تجربة ماركس عن تجربة غيره من المفكرين الغربيين فيما يخصّ الموقف من الدين والتدين.

ينتمي ماركس إلى أسرة يهودية مسيحية جمعت بين العهد القديم والعهد الجديد، وقد تخلى عن اليهودية منذ عهد مبكر وقطع كل روابطه بها، وألف رسالة معروفة باسم المسألة اليهودية غيّر فيها الرأي القائل أن للديانة اليهودية أساساً دنيوياً متمثلاً بالحاجة العملية والسعي إلى تحقيق المصلحة الذاتية، يقول:» لو وجد تنظيم للمجتمع يلغي الشروط الضرورية للامساواة وبالتالي يقضي على إمكانها لأصبحت اليهودية مستحيلة، وعند ذلك ينقشع الوعي الديني اليهودي كما لو كان كئيباً بدده هواء المجتمع المنعش». وفي موضع آخر من هذه الرسالة يقول:» إن المال هو الإله الغيور لليهودية، الذي لا يمكن أن يوجد إله قبله». ولقد بلغ ماركس من قسوة الهجوم على اليهودية في هذه الرسالة إلى أن اتهمه البعض بالعداء للسامية على الرغم من انتمائه العائلي إلى اليهودية. أما أولئك الذين يصرون على أن ماركس برغم كل شيء كان يهودياً، وعلى أن الماركسية كلها جزء من مؤامرة يهودية على العالم فهم قصارى النظر، فضلاً عن أنهم يعطون لليهودية أهمية تفوق ما تستحق، ويمجدونها من حيث لا يشعرون.

> أليس من القسوة أن يسلب الإنسان الإيمان الراسخ بأن في الكون نظاماً للعدالة مهما استمهلت أو تأخرت هذه العدالة.

إن موقف ماركس من التراث الديني يمثل التيار الرئيس في الحضارة الأوروبية التي ينتمي إليها، وهو الموقف الذي يستحق الاهتمام، ومع أنّ ماركس واضح في عدائه للدين، لكن هذا العداء كان مألوفاً بالنسبة للمثقفين الغربيين المستنيرين منذ فجر النهضة الأوروبية وحتى يومنا هذا. ذلك أن أوروبا لم تستطع أن تحقق نهضتها إلا بعد صراع مرير مع الكنيسة، وكان كل كشف جديد وكل تقدم يتحقق في الساحة الأوروبية يجد مقاومة عنيفة من رجال الدين ومن الأوساط الدينية، لا بل محاولات مستميتة تبذلها هذه الأوساط للحفاظ على التخلف السائد، وإلى درجة لم تخل حياة أي مفكر أو فيلسوف أو عالم ذي شأن في فترة النهضة الأوروبية ومطلع العصر الحديث من مشكلات مع رجال الدين، مشكلات كانت تصل في الكثير من الأحيان إلى حافة الهاوية، وظل هذا الوضع قائماً في أوروبا حتى مطلع القرن التاسع عشر، بل ما تزال آثاره باقية حتى يومنا هذا.

توجد تجارب دينية أخرى لم يكن يعرفها ماركس، لأنها تنتمي إلى تراث ديني غير التراث الذي عاصره، وهذه التجارب شهدها العالم الثالث ومنه الوطن العربي، تجارب استمد منها المجتمع طاقته الروحية، التي تعينه على التصدي لطغيان الاستعمار الأجنبي. تجارب تنبه الغرب إلى دورها، ليجده في الكثير من الحركات التحررية التي شهدتها أمريكا اللاتينية، كما شهدتها فيتنام من خلال دور الرهبان البوذيين الملحوظ في مساندة الثورة التحررية الفيتنامية. زد على ذلك دور الدين الإسلامي لا الإسلاموي في الساحة العربية، والذي مثّل قوة تحررية ضد الاستعمار الأوروبي، وهذا ما كان واضحاً من خلال الثورة الجزائرية وموقفها من الاستعمار الفرنسي خاصة، وفي المغرب العربي عامة، كما كان واضحاً أيضاً في مصر من خلال الثورات المصرية المتلاحقة ولاسيما في ثورة عام 1919 وغيرها من الثورات في مواجهة الاستعمار البريطاني، وقس على ذلك النضال من أجل الاستقلال في كل أنحاء الوطن العربي وفي الطليعة سورية، حيث مثل الدين الإسلامي لا الإسلاموي صيحة قيمية لامست أعماق الوجدان الجماهيري، المدافع عن هويته ضد الخطر الدخيل، صيحة تجمعت على أصدائها القوى الشعبية تحت لواء واحد، ضد العدو الذي يهدد القيم والمقدسات والوطن، صيحة ربطت حاضر الشعب العربي بماضيه في مواجهة الخطر الذي دبره عدو غريب غاصب. ما نلحظه من استخدام لمفاهيم الإسلام السياسي التابع والمصنع استعمارياً وصهيونياً ورجعياً تحت شعار ما يسمى بالربيع العربي، لا يأتي متوافقاً مع هذا النحو الديني التحرري الذي أوضحناه، وإنما يأتي في إطار العمالة والخيانة والإرهاب المسير من قبل هذا التحالف، والذي جعل من الدين قوة التخلف في مواجهة التحرر من العدو الغاصب، والمستعمر المحتل، والمعتدي المستغل، الذي يرمي على نفسه هالة من القدسية وكأنها تحقيق لإرادة الله على الأرض.

ما يهمنا من هذا الموضوع ليس المقارنة بين الموقفين، وإنما تفكيك الصور المعقدة التي تقف حائلاً دون التفريق بين الإسلام الإيماني والإسلاموي التكفيري في المجتمع، تفريق لا يمكن أن يكون قد خطر على بال ماركس في عصره، ولا في الحضارة التي انتمى إليها، وبالتالي لم تتلاقى عنده كل الخيوط المعقدة كما هي الحال اليوم في الوطن العربي ، كي يعالج هذه الحالة بتلك الطريقة المبسطة، التي فصل فيها بين الدين والسياسة، طريقة حسمتها الحضارة الغربية التي ينتمي إليها ماركس، فهل ستعاد التجربة الأوروبية لهذا الفصل على مستوى الوطن العربي.

نوبل والعرب... وحرب الجوائز

•نذير جعفر

يثير السؤال عن أسباب جفاء جائزة نوبل وتجاهلها للمبدعين العرب كثيرا من الهواجس والشجون، بل يصلح ليكون مساءلة جريئة تبدأ من تشخيص حال الأدب والإبداع والعلوم النظرية والتطبيقية في بلداننا العربية لتصل إلى حال الحريات السياسية وحقوق الإنسان والفاعلية المعرفية والحضارية في المشهد الإبداعي والعلمي العالمي، وصورتنا في مرآة دول العالم وشعوبه وأصحاب القرار النافذ فيه.

لن أنفي تسييس جائزة نوبل التي تدعي لجنتها الحياد والنزاهة في تصريحاتها الإعلامية، في الوقت الذي تمارس فيه غالبا كل أشكال الانحياز لمبدعين معينين استناداً إلى آرائهم السياسية وانتماءاتهم العرقية أو الدينية ومواقفهم المعلنة التي لا تتعارض مع المعايير العامة للجائزة في الابتعاد عن التحريض والكراهية والمساس بأي عقيدة أو نظام حتى لو كان نظاما استعماريا مغتصبا مثل «إسرائيل» الأمر الذي يفسّر جزئيا عزوف لجنة الجائزة عن كثير من المرشحين العرب الذين يكاد لا يخلو عمل لهم من موقف مضمر أو معلن يشهر بعدوانها المستمر، أو يكشف الوجه الآخر للغرب الرأسمالي المتوحش الذي يساندها ويقف خلف كل النزاعات والحروب في عالمنا، كما يكشف آليات الاستبداد السياسي والديني في كثير من أنظمة الحكم العربية القائمة.

لكن مع ذلك كله، لا بد من الاعتراف بأن تبعيتنا وضعف تأثيرنا، وهزالة صورتنا، عوامل تقف في خلفية اختيار الجائزة وتنحيها عن مبدعينا الكثر الذين يستحقونها. ولأننا أمة ضعيفة سياسيا ومشتتة وغير مؤثرة في الحضارة المعاصرة، فإن أعمالنا الإبداعية لا تحظى بالاهتمام على مستوى الترجمة التي من المفترض أن تقوم بها المؤسسات ودور النشر الأجنبية مما يعزز قطيعة إبداعنا مع الإبداع في العالم، ويبعدنا خطوة إضافية عن نوبل.

وما يثار اليوم من اتهامات لمؤسسة جائزة نوبل تتعلق بانعدام النزاهة عقب مزاعم عن وقائع تحرش جنسي تم توجيهها إلى أحد العاملين في الجائزة، واستقالة ما يقرب من نصف العاملين في الأكاديمية المكونة من ثمانية عشر شخصًا من مناصبهم. جعلت المدير التنفيذي لمؤسسة الجائزة يصرح بأن جائزة نوبل للآداب لعام 2019، قد لا يتم منحها إلا في حالة واحدة، وهي استعادة الثقة بالأكاديمية السويدية التي تدير الجائزة.

وإذا كانت تلك حال أعرق جائزة عالمية فما الذي بوسعنا أن نقوله عن جوائز كثيرة تمنح هنا وهناك لا تخلو من تسييس وتحيز واضحين؟!

إن الشفافية في تحكيم الجوائز ليست مطلقة فغالبا ما تتدخل الأهواء والانتماءات والاصطفافات والأمزجة والاتجاهات الأدبية والفكرية للمحكمين في منح الجائزة لهذا الكاتب أو ذاك ولا سيما أن عدد المتقدمين لنيل تلك الجوائز يصل إلى الآلاف أحيانا!

وتلك هي حال الجوائز في مختلف أنحاء العالم، وما يحدث في هذا البلد أو ذاك ليس مقصورا عليه بل يشمل معظم البلدان إن لم نعمم ونقل كلها في التعامل مع الجوائز والمتقدمين إليها.

وما يستحق الالتفات إليه أن بعض الجوائز التي تمنح لكتاب محددين غرضها صنع (شهود زور) لاستثمارهم في الأزمات التي تمر بها بلدانهم وفي المؤامرات التي تحاك تحت شعارات براقة لإسقاط دولهم المارقة في عرف الإمبريالية الأميركية المتوحشة وحلفائها.

ولكن ذلك كله لا يمكن أن يدفعنا إلى حد التشكيك بكل جائزة ينالها كاتب عربي من جهة عربية أو أجنبية، فهناك جوائز عدة مرموقة ولا غبار عليها، وتمنح لمستحقيها الذين يدخلون مجال المنافسة مع أقرانهم. سواء رضينا بالنتائج المعلنة أم لم نرضَ ففي النهاية لا يمكن لأي لجنة من لجان الجوائز أن تحقق العدالة المطلقة في اختيارها للفائزين.

فوق التراب

• لبنى مرتضى

لحظة العناق الوفية...

تتدرج مع الكلمة الندية والشكل الرمز العصي تفصح حالات عن جبل عن رابية عن حجر يتفيأ بظلاله جندب أو نملة تسعى تتقفى خطو فلاح يملأ كفه ليبذرها بين التراب والتراب..

كل أغاني المطر وأصوات الريح ترانيم مسائية لعيون التراب.. لأن التراب وما حوله من نور يعطي العشب للجندب للنملة الماشية أبدا.. نحو طريق الرزق نحو الطير الصغير الذي يملأ معدته بها وهي مثل جدنا الصوفي الأول مستغرقا بعالمه الفسيح وهو يضع أطراف أصابع كفه على شاربيه الأبيض لا يذكر السنين والوديان والصخور التي قطعها بمهدته؟ ليبني من الطوب والخشب المعتق بيوتا صغيرة فوق التراب ليتركها ويعبر الى الجبل ثم ليعبر الى القصيدة ــ المغناة الى الله.. ويمتلئ في كل برهة في لحظة العناق مع الطلمة الوفية والشكل الرمز العصي لألوان لم تعطنا سر مفاتنها بعد ، لأطفال قادمين لم نشاهد جمال ملامحهم بعد.. لكن القمر حدثنا عنهم طويلا والنجوم أهدت عتبات بيوتهم التي سيعبرون منها الى الحقل زرقة أذيالها البيضاء.. النور شاهدهم قبلي وأكد أنهم سيأتون مع الثلج.. لكن الثلج صار حلماً من لونه على أرض ترابنا.. كم رسمنا عليه واقمنا من كتله وجوها واكتافا واجسادا بقيت واقفة الى يومنا هذا تمنح حياتنا أكثر وقارا وجدية.

هل كنا نحلم حين نخلطه مع رائق الدبس ونأكله مع الجيران بمعالق الفضة.. في اليوم الثاني يغطي أرض الدار والحديقة والكرم والبيدر ونستغرب كيف تجرأت القطة وتجولت تاركة اثار أقدامها شواهد على عصيانه وتحديه للعصي ذاته...

ها قد كبرنا الان وركبنا القطارات والطائرات ولم يخطر ببالنا ان نحمل معنا الى منفانا صورا لعدونا الجميل لكن اثار اقدامه لم تزل بالقلب وفي شباك الذاكرة الطفولية المضاءة بالتحدي معه.

هل كان خصما نبيلا؟ نعم.. لم يخطر بباله الهجرة يوما بل ترك أبناءه بسلام يتكاثرون بين الحجارة السوداء يهبون خلف الصخور فيقز القطيع مرتعدا...

يا ليتها بقيت تلك الرؤى والأماني.. يقول صديقي في رسائله بأن الاغنام تبخرت والذئاب شارفت على الانقراض لأن دمار ما مر من هنا على هذا التراب الحزين والجندب نام والطيور غيرت أماكنها ولم تعد تجد بيوت الخشب والطين والاسمنت المسلح.

توضع كتلا صماء لا طعم فيها ولا رائحة للشيح تفوح... القمر الطليق شحت أنواره وصور جدي وأبي معلقة في الجدار.. والجدار أملس لا طاقية فيه تؤنس السراج.

خطاي في وادي الزمان بطيئة ويداي فوق السطر ترسم دائرة البداية..

وجهي في مهب الريح تكحله الرمال لا العشب يسمع صوتي المبحوح ولا حجارة جدي قربية من ناظري.. ماشيا عبر الصحارى رايتي الأشجار وأشواقي مبثوثة في الغيوم البيض

ترخي جدائلها الحقول علي

ويفرش الندى دربي اليك

تقرأ وجهي الطيور

ينحظر صوتي الأليف

لأنك تسكن قلبي.. لأنك غزال الخزام ان لم عيناك تفتح لي هذا المدى .. فمن أكون؟؟

لا حجر يسمعني.. لا الضوء يكفيني.. خطاي في وادي الزمان.. بطيئة ويداي فوق السطر ترسم دائرة البداية.. وجهي في مهب الريح تكحله الرمال.

يمر الحب ملاطفا وجهي.. ويحمّل أصابعي بقايا الالوان التي رسمت فيها ما يشبه اشجارك التي تطاولت اغصانها نحو مجرات قديمة اسماها جدي بنات نعش واسماها العرب الرحل طريق التبانة..

مرت قوافل الابل والخيل

والحصادون مضمخون

وبنوا في وادي السرحان

اسوارا من حجارة سوداء

وفي الصباح أقاموا عرسك الأبيض

رافعين البيارق ورايات الحمام..

نقطة على حرف

مالك صقور

دفاع عن الأدب
ـ٤ـ

ختمت الحديث السابق بأبيات الشعر التي كتبها أحد أفرد الشلة وهو الشاعر ربليه على باب الدير، وفي القسم الأول من الأعلى: يدعو الناس على الرحب والسعة حيث يجدوا المأوى والحصن، والقسم الثاني: يخاطب المتزمتين قائلاً:

هنا، لا تدخلوا أيها المتزمتون

أيها القرود العتاق

أيها الأقذار المنبعجون..

وهذا يدّل على هوية هذه اللجنة أو هذه الجمعية، أو هذه الشلة..

إنهم مع الحرية، والانفتاح، والانطلاق، ومساعدة الآخرين، وهم ضد الانغلاق، والعقل المتحجر، والتزمت إذ يليق بهم هذا الوصف:

(القرود العتاق) و(الأقذار المنبعجون)..

بدأ جورج ديهميل حياته الأدبية بالشعر، فنشر ديوانه الأول (الدير) سنة 1907 ــ وهو أساطير ومعارك، وفي سنة 1909 نشر قصيدة (الرجل الذي على الرأس)، وفي العام نفسه أصدر بالاشتراك مع فلدارك «مذكرات عن فن الشعر»، بعد ذلك، نشر ديواناً آخر بعنوان «وفقاً لقانوني» سنة 1910. ونشر ديوان «الرفقاء» سنة 1912، وفي سنة 1920 نشر مجموعة قصائد سمّاها «المراثي» وهذه كتبها بعد الحرب العالمية الأولى.

نشر جورج ديهاميل مقالاً سنة 1913 بعنوان «لوحة صغيرة لمدارس الشعر»، في هذه المقالة يعلق على كلمة قالها مورياس وهو على فراش الموت: (إن المدارس لا وجود لها). في هذا المقال يوصي بضرورة نسيان التقاسيم، وأنه يجب التعلق بحقيقة واحدة هي وجود (الرجل)، وكان قبل ذلك بسنتين أي سنة 1911 كتب (جل رومان) يقول: ليست من قواعد داخلية و خارجية ولا مبادئ نهائية مقررة، وإنما يتبع كل منا منهجه الخاص وفقا لطبيعة وحيه.. «ولذلك، ربما، قرر أركوس: إن جماعة الدير لم يكونوا مدرسة».

وبغض النظر عن هذا، فإن معظم نقاد الشعر المعاصر يدرجون اسم جورج ديهاميل، وفلدراك، ورمان وأركوس، وشنيفير ودورتان وجوف تحت مذهب واحد في الشعر هو مذهب «الكلية»، الذي صاغه جل رومان..

لقد كتب رومان أكثر من كتاب وديوان ليعرّف «الكلية»، والذي نلحظة عنده هو أنه قد حاول أن يزّج في الشعر والأدب بأفكار كانت مدرسة علم الاجتماع في فرنسا قد طبّلت لها ونفخت في الأبواق، ومرآها فكرة الوعي الجماعي وفناء الفرد في محيطه، وهذه لسوء الحظ فكرة مصطنعة بالغ فيها «دوركايم» و«لفي بريل» و«جوستاف ليون» إذ حاولوا أن يجعلوا منها مذهباً فلسفياً فطرحوا بعض الأفكار المعروفة، وبالغوا فيها ظانين أنهم قد أتوا بجديد، وفي الحق أنه لا جديد عندهم إلاّ قسر الفكرة وإفساد الحقائق.

ورومان ذاته كان قد درس الفلسفة ونال فيها درجاته الجامعية وكان هؤلاء الاجتماعيون من بين أساتذته.

والجدير بالذكر ما يقوله رومان في كتابه المسمّى «مختصر التأليه»: إذا شككت في الكلية لم ينفذ بصرك خلال أخيك الإنسان.. ويتابع: «إذا رأيت في الطريق نفراً من الناس قد أخذوا يجتمعون، سرْ إليهم وأضف جسمك إلى أجسامهم.. اخترق في رفق كتلتهم، واسأل الرجال: لماذا اجتمعوا؟ وحدّثهم حديثاً يثيرهم إلى الحياة. لهم موافقتك إليهم، وانفث في حنقهم أو رحمتهم، فكّر بعقلهم جميعاً». فعند رومان، إن المكان ليس ملكاً لأحد، فالناس كافة يسكنون في أرض واحدة، يتلاشون فيها ويتداخلون ويتوافرون، والزمان أمر اعتباري تحكمي مرن.. وقد اعتبر هذا لكلام جزء من السفسطة الجوفاء.

لكن جورج ديهاميل فقد أنكر هو نفسه أن يمّت إلى هذا المذهب بأي سبب، ويجمع النقاد على أن فلوراك وديهاميل ليسا «كليين» وإذا كانا قد تأثرا بشيء من آراء رومان فإن ذلك لم يكن إلا في الناحية السليمة من تلك الآراء، ففلدراك، مثلاً، يدعو إلى حب الناس بعضهم لبعض، ويرمي أن مصدر المحن والمصائب هو فقدان الحب. فالحرب إنكار للحب، وهو يأمل أن يأتي يوم «تصبح فيه أوروبا كرجل واحد تتجه جهوده وجهة واحدة بحيث يجمعها مصير واحد: «حب شجرة».

كذلك جورج ديهاميل فشعره وإن يكن أغنية داخلية تسعى إلى أن تكون إنسانية شاملة، بل سلسلة من التحليلات..

يقول:

«ليست لي أي قوة اللهم إلا أن تكون الحب وهذا القلب الذي يرتعد»..

وفي قصيدة أخرى يقول: «أنا الروح، أنا الجمال الخالد، إذا كان الله موجوداً فهو ليس إلهاً إلاّ لأنه خلقني».

.....يتبع

إن عجائب الشعر لا حصر لها...

•غسان قنديل

الشعر... الشعر

اما أن يثبت حضوره المائز، عبر تلبية احتياجات الإنسان المعاصر الذوقية والجمالية، والحديثة في توهجها الروحي، التي تقدم وتعلن عن ولادة العجيبة الشعرية في تمردها الإبداعي. ولكنها بدعة تدهش وتمضي إلى داخل النفس، أو تبقى في عصرٍ أصبح الشعر في متناول (الشاعر، الشويعر، والشعرور) وكلهم يكتبون... وما أدراك. أيكون هذا الطوفان الشعري ـــشبه الشعرـــ يطفطف على الحوافي، ما أن تهدأ الموجة... يعود الشاعر على نهره الإبداعي الجميل المنساب بموسيقاه، ولغته، وتشكيله، كلوحة فنية، أبدعها فنان تشكيلي يُتقن كل أدواته الإبداعية، بما يمتلك من ثقافة وفكر ومعرفة وبصيرة.

وبالمقابل كثير من الأجيال الشابة التي لا تعرف إلا القليل من موروثها وتاريخها الإبداعي... ليست ملومة احياناً (لانقبل العذر) على ما تقرأه، وتعده آنئذ المقياس الدقيق للشعر، وقد ينسحب هذا على باقي الفنون الأخرى... وقد أتهم بالسوداوية، وأنني أظلم الشباب، ولكن ما أقرأه من أصوات جديدة يثبت ذلك... لنقرأ (وعليكم الحكم) قصيدة لشاب في كلية الآداب جامعة دمشق :

((الحلم يغطّ في نوم عميق
والشارة الحمراء في الطريق
وبيتها....
صرير باب...
يصلني... وأنا على مفرق طريق
أحتار.... من أي جهة أستفيق))

وطالما نجد في جريدة أو مجلة كثيراً من القصائد، وقد يشي ظاهر الذرائع بنشرها لصوابها، ولكن المتأمل والمتابع - لهذه الظاهرة والعارف بأسرار الشعر يرى أن عجائبه لا حصر لها... يلحظ الأناة، والهفوات... و.... فقد يتناول إحداهن في كتاباته، ينسى أو يتناسى(الباقي، الموسيقا، النظم، الوزن، القافية، الدهشة، الميزان، اللغة، التجربة، الثقافة، الأخلاق، الموهبة).

فالشعر: ليس هو نظم، ولا ميزان، ولا قافية، وإنما كل ما ذكرت مجتمعة ليصل إلى الموهبة، وأن يحفظ الآلاف من أبيات الشعر كحد أدنى للشعراء في عصور مختلفة، ومتابع وحريص أن يقرأ الجديد، وأن يكتشف موهبته مبكرا.

لموهبة، وأن يكون أكثر حكمة وعلماً وثقافة من عامة المثقفين.

ينطبق ما ذكرت على كل المبدعين، ولكن كان الحديث عن الشعر، لأنني أقرأ وأشاهد هذا الكم الهائل من النشر، وعلى صفحات التواصل الاجتماعي المختلفة وبرأي إذا القصيدة ((عدد أبياتها قليل أو كثير)) لم تأخذ عجائب الشعر كلها. لن تصل إلى المستوى المطلوب، ولنتذكر سوياً دور الشعر في المحافل عبر التاريخ القديم والحديث.

لقد سألت أحدهم وهو المتحمس للنشر أليس الشعر أيقونة الإبداع، وهو الذي يكتشف الإضافات الإبداعية المعبرة عن حالة ما في المجتمع كباقي الفنون؟

((أجاب: كل شاعر يستلهم قصيدته (بالرصد، والتجربة الحياتية).

سألته: هل هذا يكفي؟

أجاب: نعم... ولكن التجربة تعبر عن الذات الإبداعية فلذلك تختلف شخصية الشاعر من واحد إلى آخر... (دون مناقشة).

الفنان القادر على اجتراح فعل الإبداع، فيفضح ما بداخله، يستطيع أن يخلق قصيدة على الرغم من العملية القيصرية أحياناً عند الولادة.

أليس الشعر كالموسيقا... (نتنفس به، نحقق الشفافية، نعيد لغة الوجدان، لغة الجمال، وهو الظل الذي يبقى كبيرا دائما).

ولكن للأسف، معنا اللغة التي تقوم اليوم على اجتهادات بحجة الحداثة، نسقطها ضمن المنظومة التي نعدها شعراً.

أليست اللغة تحقق الإضافات المعبرة والإبداعية؟ ((الجواب في بحث آخر)) والشاعر الحقيقي يتناولها برقة العازف، ولمسة الفنان، وجمال النحت في حيز فراغي يشغله بشكل متقن ومدروس فنان مبدع.

أليست اللغة إشارات فكرية تتجلى بالألفاظ، ...؟

وعند القراءة تستولي على إدراكنا وحسّنا، وتنقلنا إلى عالم فكري لامثيل له.. لنقرأ للشاعر رياض صالح الحسين ((أعتقد قريب من عمر الذين يكتبون الآن))

قصيدة بعنوان تغيير من ديوانه: (وعل في الغابة ـــشعر ـــإصدار وزارة الثقافة دمشق 1984 ص53)

يرمي ثيابه في البئر
من أفكار ودمى
يرمي كتبه وخاتم الزواج
يرمي بئر حياته في البئر
يرمي ماضيه المريض
يرمي دفاعه خيراً
وحاضره الخائف
ويستدير
يرمي أغانيه القديمة
نقياً وأبيض وسهلاً

> أليس الشعر كالموسيقا ؟... نتنفس به، نحقق الشفافية، نعيد لغة الوجدان، لغة الجمال، وهو الظل الذي يبقى كبيرا دائما.

وأصدقاءه المنافقين
الآن فقط
يرمي كل ما تطاله يداه
يستطيع أن يقول: أحبك
من أوراق ومذكرات

قد يتأثر الشاعر ببعض قواعد التفكير على مدى سنين عمره، ولكن يبقى اختيار الكلمة من خياله المبدع والمثقف، هي الفعل أو هي القدرة على تشكيل الصورة الشعرية، كما تعبر عن التفكير بألفاظ تتصل مباشرة بثقافته، وتجربته.

أنا هنا لا أدعو إلى حصر هذا التفكير وخاصة الخيال، فكلما كان خصباً كان الشعر أقوى وأدهش، لأن الشاعر المبدع يقتبس بجرأة وحرية وإبداع الكلمة التي تبادله المشاعر في قصائد كثيرة عند ولادتها.

أما ما يكتب الآن، يلتقي بالضرورة، وطبيعياً مع المخزون الثقافي، والحياة ككل، فلذلك نقرأ ما يسّر النفس، وما يجعلها في كآبة أحياناً إلى ما وصلنا اليه من مسافة بعيدة كل البعد عن الأثر، والتأثير، وهنا نفقد الوعي الجمعي للثقافة لنقرأ مرة أخرى لرياض صالح الحسين (لماذا... لأنني سألت أكثر ممن يكتب الشعر هل قرأت له أو تعرفه؟ أغلبهم قالوا: لا.. وأحدهم قال: باستحياء نعم قرأت عنه كتاباً لنذير جعفر إصدار وزارة الثقافة - الهيئة العامة السورية للكتاب دمشق؟)

القصيدة بعنوان كتابة (وعل في الغابة ـــ ص93ـــ94 صادر عن وزارة الثقافة السورية عام 1983)

((بريشة من العظام
وحبر من الطمي
يكتب على جدران قبره
قصائد عن الحب
وروايات عن القرى والمدن
وقصصاً عن الأرانب والعجول
إنه يكتب منذ أن مات
يكتب رغم أن أحداً لا يقرأ ما يكتبه
يكتب دونما توقف
يكتب برغبة، باندفاع
لا يفعل شيئاً سوى الكتابة
يكتبُ
ربما
لأن الكتابة فعل حياة.))

> تم تفريغ الأدب والفن، وخاصة الشعر من دوره الفاعل الأساسي، وخاصة الآن، وفي ظرف يحتاج أن ننحو باتجاه الحرية والابداع.

لقد تم تفريغ الأدب والفن، وخاصة الشعر من دوره الفاعل الأساسي، وخاصة الآن، وفي ظرف يحتاج منا عدم الوقوف والمراوحة في المكان نفسه وعدم التكرار. وأن ننحو باتجاه الحرية والابداع، بشكل سليم وجميل، ونبني قواعد وأسس إبداعنا على الثقافة، وإنتاج ثقافة متجددة متواكبة مع عصرٍ يحتاج منا الانتباه والحذر، لنصل إلى عجيبة شعرية جديدة نوعية في مضمونها، تصل إلى وسط الهرم الشعري أقَله، لان الثقافة تراكمية بامتياز وتمتد أحياناً عبر أجيال... هذه العجيبة لا يعني المراوحة في المكان، أو التقليد.

وانما عجيبة، جمالها بما كتب وأبدع، وتكون بلغة شعرية تحرض النفس على قراءة المزيد من الشعر ((الرحمة...))

أعود إلى عجائب الشعر.. عجائب للبناء كما ذكرت... وعجائب بنيت من الشعراء... فهل تتكرر ظاهرة رياض صالح الحسين أعتقد عندما كتب قصائده كان في العشرين من عمره.. (وأصدرت وزارة الثقافة اكثر من ديوان له) واعتقد ثمانينيات القرن الماضي تشبه بشكل ما بداية القرن الحادي والعشرين وأجزم لم ينتج ثقافة حقيقية (جمعية عما مضى من سنين في هذا القرن، متوازية مع التطور السريع والمتسارع في الابتكارات الالكترونية المستمرة. نعم وجد مبدعون حقيقيون في كل المجالات حتى نحفظ ونحترم حقوقهم ولكن الأمل أكبر ليتطور المجتمع وتتطور الثقافة معاً لنصل إلى قمة الهرم في كل مجالات الإبداع.

أصبح الشعر كالموضة يملأ الصفحات والأمسيات(هذا ما سمعته في أمسية شعرية أبطالها يتناولون الموضة بكل ألوانها. شعر حديث - تفعيلة، محكي، نثر، ...الخ) الاختلاف الوحيد في هذه الأمسية رافقت الموسيقى قراءاتهم فقد أمتعتنا أكثر من الشعر، على الرغم أنني أكثر شخص مشجع لهم، وأحياناً أتجاوز هذا التشجيع وأختم بقصيدة (رياض صالح الحسين من ديوانه وعل في الغابة، الصادر عن وزارة الثقافة السورية ص 51 /52 عام 1983م

حلم
((دائماً كان يحلم
بتفاحة الحب الناضجة
ليحتويها بين أصابعه العشرة
كان ذلك حلماً وحسب
كالوصول إلى القمر
سنة 1920
وكما في الأحلام
لم يعد الحلم حلماً
فها هو يقضم تفاحة الحب
وها هو سكرها يسيل على شفتيه
مرة استفاق
فوجد أنه يقضم قلبه))

أمين الساطي يقدم وجبة قصصية دسمة في: "أوهام حقيقية"

• سهيل الذيب

في 288 صفحة من القطع الصغير قدم أمين الساطي مجموعته القصصية الأولى"أوهام حقيقية"إلى القارئ وحوت بيد دفتيها اثنتي عشرة قصة طويلة نسبيا وأطولها قصة "الرغبة القاتلة"التي تجاوزت الثمانين صفحة ، أكثر قصص الكاتب تدور في أعماق النفس البشرية وانفعالاتها وأوهامها ويرى الكاتب أن الرغبات العنيفة التي تختلج في صدورنا لا تلبث أن تسيطر علينا فنصبح عبيدا لها لتقودنا إلى الطريق الذي تختاره لنا ليتملكنا في الوقت نفسه الشعور بالعجز عن مقاومتها.

بطل قصة "الإشارة " تملكته هذه المشاعر وأخذت تتوضح له حقيقة رغباته المكبوتة بشكل إشارات وأرقام يشاهدها بشكل طبيعي خلال يومه وأخذ يفسر هذه الرموز بالشكل الذي يشبع هذه الرغبات.

بطل قصة " النوم بجانب الأعداء" كان أضعف من أن يحول الرغبة التي تعتريه إلى حقيقة يعيشها على أرض الواقع فاكتفى ليعيشها في أحلامه ولينفس عما به من صراع مرير مع زوجته وبطلنا اكتشف أن النوم بجانب الأعداء هو مثل مكسيكي ويعني أنه كيف يمكن للزوج أن ينام إلى جانب زوجه كل ليلة من دون تردد ولا خوف .ذلك أن معرفتنا بالأشخاص الذين نعيش معهم باستمرار تؤدي إلى كراهيتنا لهم حسب رأي الكاتب لأننا نرى فيهم الأشياء التي نكرهها في أنفسنا. بطلنا لا ينجب والحياة الزوجية من دون أولاد تبدو مستحيلة نوعا ما ، وكانت زوجه وحماته إلى ذلك تحملانه مسؤولية عجزه لذلك يقرر قتل زوجه وحسب نصيحة سمعها " إذا لم تكن هناك جثة فلا داعي لانعقاد المحكمة "لذلك ففكرة التخلص من زوجه دارت حول كيفية التخلص من جثتها أولا، وفي غمرة ثورتها عليه كالعادة تنهار أعصابه فيرميها من الشرفة إلى الشارع القريب فلا تموت ليفرح البطل ويفرحنا معه لندرك أنه كان في كابوس.

في " الإشارة " يرى الكاتب أن الكثيرين يؤمنون بالإشارات ولكنهم يخجلون على الاعتراف بذلك وهو من هؤلاء الأشخاص وقصته هذه تدور على لسانه فقد استيقظ في الثامنة صباحا متأخرا على دوامه كعادته وفجأة لفت نظره أن لوحة الحافلة تبدأ بالرقم ثمانية ليبحث عن هذا الرقم في مخيلته كي يتمكن من إيجاد صلة تربط بين أحداث يومه وبين هذا الرقم إذ لا بد من تتابع الإشارات خلال وقت قصير لكي تتحول إلى رؤيا ثم إلى حقيقة. في العاشرة وثماني دقائق طلبه المدير لينتابه شعور غامض بالسعادة من كون هذا الرقم بدأ يعمل لمصلحته، لكن لدى المدير تملكه شعور بالخوف لأن هالته المغناطيسية لا تتوافق مع هالة البطل وكذلك لأن المدير من الأبراج النارية بينما هو من برج الحوت المائي ، وتأكد حدس البطل عندما طلب منه المدير أن يقدم استقالته بسبب تأخره الدائم منعا من الحرج وإكراما لزوج عمة البطل صديق المدير. حين خرج من لدنه رأى أن محادثته استغرقت ثماني دقائق ما أشعره بنوع من الارتياح وخاصة أنه قرأ ذات مرة أن الإغريق أطلقوا اسم العدالة على الرقم ثمانية وهو رمز للقضاء والقدر لذلك قرر حين عاد إلى بيته التخلص من المدير فأخرج المسدس الذي اشتراه قبل ثلاث سنوات للتخلص من طبيبه الذي كان يعاينه في مستشفى الأمراض العقلية ليأخذنا القاص إلى قصة ضمن القصة مكتملة نواحي السرد والقص تروي دخوله مستشفى الأمراض العقلية وتناوله حبات الآس دي التي توهم الشخص أنه أصبح قادرا على الطيران والمشي أيضا فوق وجه الماء .

هذه الحالة ولدت لديه إدراكه أن الرقم ثمانية أوحى له أنه واحد من قلة يملكون العين الثالثة التي بها يستطيع أن يرى الصورة العادية وهي تتحول إلى صورة حية فيها الأصوات والأحاسيس الطبيعية. ولسبب ما يبدل البطل خطته فيقرر قتل المدير بوساطة هذه الحبوب المخدرة وبعد أن يشربها المدير ومدير مكتبه موضوعة بفنجاني قهوة يسمع البطل أن المدير ومعاونه رميا من شرفة المكتب لكنه لم يتهم بل إن التهم كلها موجهة إلى الجميع عداه وبدأ ينتظر ترقية أن يحل مكان مدير المكتب.

هذه القصة يجوز أن تكون قصتين أو أكثر لأنها دمجت ثلاث قصص بعضها ببعض يربطها خيط رفيع.

يتميز الساطي بهذه القصة وفي أغلب قصصه بأسلوبه المنطقي والعلمي والبوليسي بآن معا والروائي الطويل حيث يحق لكل قصة من قصصه أن تكون رواية وحدها إن عدل وتوسع بها ولا سيما "الرغبة القاتلة " فهي رواية مكتملة وما عليه إلا بعض التعديل والتوسع لتطبع في كتاب وحدها، وكذا يمتاز بجمله القصيرة المتقافزة وبحبكته الذكية ونهاياته المدهشة غير المتوقعة.

في "الرغبة القاتلة " التي ذكرتني بأغاتا كريستي الروائية البوليسية الشهيرة يرى الكاتب أن الرغبات التي تسيطر علينا والتي نريدها بشدة سوف تتحقق حتما والتفسير العلمي لذلك كما يرى الكاتب أن الرغبة الجامحة تحفز الدماغ إلى إرسال موجات كهرو مغناطيسية محملة بالطاقة إلى خارج الجسم بسرعة كبيرة ولمسافات طويلة قد تشبه الضوء في كثير من صفاتها ويمكن لهذه الأمواج أن تؤثر في الأشخاص والمواد، فإذا ما لفتت انتباهنا امرأة فعلينا التركيز عليها وسيقوم دماغنا تلقائيا بإرسال الأمواج الكهرو مغناطيسية إلى دماغها للتأثير فيها.

كمال بطل هذه القصة من هذا النوع فقد قرأ الكثير من الكتب عن جلسات التأمل وحاول ممارستها في دراسته الجامعية في مصر ومن ثم بعد ذلك في الهند. كمال ثري أردني يعيش في الكويت ولديه شركته التي تعطيه أرباحا طائلة وهو يقضي بعض الصيف في بيروت مدينة الحرية والتفلت مما يؤرق العربي الثري الزائر . تلفت انتباهه صبية بالغة الجمال فيحاول استدراجها مما تعلمه من اليوغا والأمواج الكهرومغناطيسية لكنه أخفق وكي يلفت انتباهها يشتري جزءا من الشركة التي تعمل بها وببساطة شديدة وعلى الرغم من أنها من عائلة مسيحية.

د.حسن حميد

الحرب..!

أعرف، وتعرفون، أيها الكرام، أن الحرب شغلت عقول أهل النباهة من أجل الإجابة عن سؤال فلسفي غامض ومحيرٍ وثقيل، وهو: لماذا الحرب؟! والناس جميعاً يعرفون أنها زمن موجع، وحالات موجعة، وخواتيم موجعة أيضاً. لماذا الحرب وخيرات الأرض كثيرة لا تنتهي، والإنسان انتقل عبر أطوار معرفية كثيرة كيما يخلّف الحرب وراءه، وكيما يلجم مفاعيل الحرب، ويطوي مؤيداتها وبواعثها، بل كيما لا يهدم ما بنته يده هنا أو هناك!

الفلاسفة، والساسة، وأهل المعرفة والفنون والأدب جميعهم أحاطوا بهذا السؤل وواقفوه عبر مقولاتهم ومؤلفاتهم وما مشوا به من قول وسلوك بين الناس؛ الإغريق، وحضارة اليونان العظيمة يميزها أمران بارزان، هما العقل الباني إلى حدّ أنسنة الآلهة، والنزول بها إلى الأرض لتمشي بين الناس وتخالطهم، وإلى حدّ امتداحها للإنسان الوفي والصادق والمحب والمقدم والمكافح والمظلوم وتقديم الجوائز للإنسان، ومشاركته في المأكل والمشرب والمسكن والفعل الباني.

وقد كان لهذا العقل الباني حضوره الأسطوري في بناء المدن، وصياغة الدساتير والأنظمة، وتنظيم العلاقة بين الإنسان وتحولات الفصول والمواسم، وما بين الإنسان والحاكم، وما بين الإنسان وثنائية الخير والشر، إلى الوجوه الأخرى من الأفعال البانية مثل أنسنة الطرق، وبوابات العبور إلى المدن والأنهار والبحار، إلى تأليف الكتب، واستنطاق الحجارة والصخور والأخشاب عن طريق النحت والبناء، وهذا العقل الباني هو الذي حدّثنا طويلاً عن الحضارة الإغريقية، وعن ثنائيات الحاكم والمحكوم، والظالم والمظلوم، والإنسان والآلهة، والمدائن والبراري، والبحار واليابسة، والأرض والسماء، والحياة والموت، والحب والكراهية... وهو من حدثنا عن شواغله الجوهرية الباحثة عن ما يحلم به الإنسان، أي: السعادة!

والأمر البارز في الحضارة الإغريقية يتمثل في العقل الهادم الذي يفكر بالهيمنة والسيطرة والسيادة وإلحاق الآخر به، بل وإلحاق البلدان ببلده وفرض الأفكار والقوانين والأوامر على الآخرين من أجل الانضباط والخضوع والإقرار بالتبعية لأسباب وعلل كثيرة، كان صاحب العقل الهدّام قادراً على صياغتها. ولعل أهم منتجات العقل الهادم عند الإغريق تتمثل في الحرب، والكتابة عنها والترويج لها بوصفها صورة لابدّ من تظهيرها، وحالاً لابدّ من الإيمان بها وعلى نحو يقيني، وقد قامت حروب طاحنة قضت على الكثير من معطيات العقل الباني ودمرتها، بل أساءت كثيراً، وعبر الكتابات والوصايا والمدارس التي أعدتها من أجل إعداد وقود الحروب من الشبان، إلى توجهات العقل الباني الذي رأى أن أموراً كثيرة هي أهم من كل ما تأتي به الحروب من انتصارات واهمة، وفي مقدمتها المحبة وشيوعها بين الناس، وزراعة الحقول، وتشجيع الحرف والمهن، والحث على الاختراعات والاشتقاقات، واجتماع الناس في دارة السلم واللاخوف أيضاً..

الشعراء، الفنانون، الفلاسفة، المعلمون، العمال، والصناع، والزرّاع، والبحارة.. كلهم سعوا إلى أن تكون الحياة دارة سلم لا دارة حرب!

ومن أسف أن العقل الإغريقي الهادم الباحث عن الحرب كوسيلة وطريقة ونهج للاستحواذ والتطور والغنى، وامتلاك الهيبة والمهابة.. لاقى الكثير من المؤيدات له من أجل أن تصير لبابة الحياة وجوهرها، حين قال: إن السلم لا يبني الحياة ولا يطورها لأن الإنسان ميال إلى العنف بالفطرة، والسبب يعود إلى بقايا الوحشية والنزوع إلى العدوانية والدموية المترسبة في نفسه وعقله والآتية من صيغ العيش الأولى التي عرفها الإنسان الذي وصل إلى غذائه بالحربة والمطاردة والأفخاخ والأشراك.. وقال منظرو العقل الهدّام الإغريقي إن للسلم بواباتٍ مفتوحة على عدم الانضباط والفوضى، وعدم التنظيم، وأن مفهوم السواسية بين الناس هو مفهوم طوبائي، ولا يمكّن من قيام فكرة الحاكم والمحكوم، كما لا يؤمن بوجود الآلهة ذات القدرات الخارقة والميّزات الأسطورية التي لا يعرفها الناس ولا يصلون إليها لأن حدود الإنسان معروفة وجلية، أما حدود الآلهة فهي غير معروفة وغير جلية، ويقول منظرو العقل الهدّام الإغريقي إن تطور الإنسان، والمجتمعات، والحضارات، والعلوم والفنون والمعارف لم يتم إلا بالصراع والمنافسة والمداحمة، لأن لا حياة يبنيها إنسان ضعيف، ولا علوم وافرة الحضور والإبداع يأتي بها عقل مريض ينظر إلى الناس على أنهم سواسية ولهم حقوق واحدة، ومآلات واحدة، فهذا غير صحيح، وغير دقيق، والحديث عنه أشبه بالحديث عن الغائبات المتواريات.

الحياة بنيت تحت أسنة الرماح وبفعلها لأن البناء قوة وطاقة، والحضارات قامت بفعل القوة لا بأي فعل آخر، فلولا القوة، وهيبة البلدان والدول ما كامت الكتابات والفنون، وما تطورت المعارف والآداب والفلسفة، ولما استقامت حدود التنظيم والانضباط بين الناس، وليست الدساتير والقوانين إلا صورة مصغرة عن قوة الدولة وهيبتها! وقال منظرو العقل الهدّام أيام الإغريق من دون التوحش والدموية والغزو والاستحواذ.. لا حضارة إنسانية!

إذاً، منذ القديم، وهذا السؤال الدائر حول الحرب وتفسير أسبابها هو الشاغل للعقل البشري، والوقوف عند فكرة جوهرية طرحت منذ الأزل فحواها تساؤل موجع وساذج في آن، وهو: هل الحرب فعل إنساني أم فعل شيطاني، ومن يوقد نار الحرب، ومن يوفر لها شروط القيام.. وهل قيامها فعل بناء حقًّا!

كل ما دفعته هنا، هو سطر طويل من أجل الوقوف على معطيات الثقافة والفنون والمعارف التي عاشت أزمنة الحرب، وما قالته، وما أرادت التعبير عنه في أوقات مختلفة من أجل الوقوف على هذه الحرب التي شنت على سورية طوال هذا الوقت المريض الأليم لنرى صورتها في مدونات المعرفة، والنفوس، والعقول!

Hasanhamid55@yahoo.com

ترامب والصهيونية

•زبير سلطان

معظم مراكز البحوث السياسية والعاملون بالحقل السياسي في العالم عامة، وفي الولايات المتحدة خاصة؛ تعلم أن الصهيونية قذفت إلى سدة الرئاسة الأمريكية معتوهاً، ينفذ لها من دون تردد وتفكير كل ما ترغب وتريد، وإن تضررت منه مصالح الولايات المتحدة، ويفقد مصداقيتها في المحافل الدولية، كما في قراره بانسحاب بلاده من الاتفاق النووي، الذي أقرته دول عظمى لها مقاعد دائمة في مجلس الأمن الدولي، وصدق عليه هذا المجلس بالإجماع بقراره (2231). وسبق له أن سحب توقيع بلاده من اتفاقية المناخ، وهدد بالانسحاب من اتفاقية التجارة الدولية (الغات)، ومن العديد من الاتفاقات الدولية مع الصين ومن الدول الأوروبية. من دون أن يدرك أو لا يدرك بغبائه السياسي والقانوني بأن ذلك يفقد بلاده مصداقيتها عن كل اتفاق تنوي عقده مع دول العالم في المستقبل.

ويبدو أن رؤية كاتب كتاب (التافهون) الكندي تثبت مصداقيتها مع الأيام، حين قال: إن حكاماً يتربعون على سدة الحكم في العالم بما فيها الدول الكبرى تافهون، تصنعهم الحكومة العميقة في العالم ذات الميول الصهيونية، من أجل أن تتحكم بمصير العالم وثرواته.

ومن نظرة موضوعية لنوعية حكام الولايات المتحدة والغرب وحكام الخليج، تؤكد على مصداقية هذا القول. فمن شاهد في 20 آذار 2018م القنوات الفضائية العالمية، وهي تنقل مباشرة اجتماعا في البيت الأبيض يضم رئيس الولايات المتحدة وولي العهد السعودي، وكيف يعرض ترامب على ابن سلمان صوراً لطائرات وأسلحة قاتلة فتاكة حديثة، ويرغبه بشرائها، كما يعرض بائع الحلوى لطفل أنواع الحلوى الموجودة في حانوته. إلا ويقول في نفسه: ما أتفه ما وصل إليه حكام العالم اليوم.

صفات ترامب في نظر الأمريكيين:

وصفت وسائل الإعلام الأمريكية دونالد ترامب قبل انعقاد حفل تنصيبه كرئيس للولايات المتحدة، ومنها (C NN) في 12 كانون الثاني 2017م (بالقمامة)، وتحدثت عن الموبقات التي مارسها خلال مسيرة حياته، فذكرت بأنه لا يتورع عن أي عمل سيء يرتكبه، أو يقوم به، فسيرته الذاتية تتحدث بأنه لا يملك أي قيمة أخلاقية، فقد كان يتحرش بالنساء، ويمارس الجنس مع بائعات الهوى، ويلهث راكضاً خلف عارضات الأزياء، ومصادر إعلامية تتحدث بأن لدى المخابرات الروسية أشرطة فيديو محرجة عن حياته الخاصة عندما زار روسيا، وقد اتهم ترامب المخابرات الأمريكية يومها بتسريبها إلى وسائل الإعلام الأمريكية. وذكر جيمس كومبي الذي عينه ترامب في بداية حكمه على رأس جهاز المخابرات الأمريكية، وبالتحقيق بالمعلومات التي اتهم بها خلال المرحلة الانتخابية، ذكر في كتاب له صدر في منتصف نيسان العام الحالي 2018، بأنه قذر أخلاقياً، وقد أقام علاقات جنسية مع بائعات الهوى عام 2013 في روسيا، والمخابرات الروسية لديها ملفات بذلك.

ونشرت وسائل الإعلام الأمريكية في العام الحالي أخباراً عن كيفية قيام محامي ترامب الخاص (مايكل كوهين) بشراء لسان الممثلة الإباحية (ستوري دانيليز) بمبلغ 130 ألف دولار، على أن لا تتحدث عن العلاقات الجنسية التي أقامتها مع ترامب، وسمع العالم كيف كذب ترامب هذه الأنباء، ثم اعترف بعد ذلك بعقد الصفقة بين محاميه وهذه الإباحية. وقد استدعى المحقق الأمريكي المكلف بالتحقيق في الاتهامات الموجهة لترامب هذا المحامي في 17 نيسان 2018، ليحقق معه عن التهم الموجهة إليه، التي تتحدث بأنه اشترى صمت العديد من النساء، اللواتي تعرضن لتحرشات ترامب، وأجبرهن على ممارسة الجنس معه، وعن الاتفاق الذي جرى بينه وبين الممثلة الإباحية. لقد كانت فضائح ترامب الأخلاقية تتصدر عناوين الصحف ومقدمات الأنباء الأمريكية والغربية، ودلت على أنه لا يملك أي ذرة أخلاق قبل انتخابه وبعده، حتى أن بابا الفاتيكان قال عنه أثناء حملته الانتخابية (إنه ليس مسيحياً).

ومن صفاته ما وصفه بروفيسور في قناة BBC في 19 كانون الثاني 2018 بأنه غير واثق من نفسه، ويستخدم الصوت العالي والقوة والصراخ والتهديد، ويرى دائماً بأنه على حق، ومن يعارضه أو يخالفه مخطئ. ويتهمه بأنه غير عاقل. كما ذكرت هذه القناة البريطانية عن تصرفاته بأنها تبدو صبيانية، وغير عاقلة، فعندما اجتمع مع المستشارة الألمانية في البيت الأبيض لأول مرة ؛ رفض مصافحتها، على الرغم من نصائح مستشاريه. وحين قدم إلى اجتماع قمة المناخ في باريس في بداية العام الحالي، وقف الزعماء لالتقاط صورة تذكارية، دفع رئيس حكومة الجبل الأسود ليقف مكانه بكل صلف وجبروت.

ووصفته صحيفة بريطانية في 15 كانون الثاني 2017 بالرجل المتهور، والجاهل، والمتعصب عرقياً، وبأنه يتسم بعدم المصداقية، والعدائية، وضد حرية التعبير، وبالنزعة الشعوبية المثيرة للمشكلات، وحذرت الصحيفة من سياسته الرعناء على العالم، وقالت: نحن محقون في الخوف من تسلم ترامب الرئاسة، ووصفته في ختام مقالها بأنه (نذير شؤم).

في 18 كانون الثاني 2018 قال عنه رئيس جهازه الأمني السابق F. B. A جيمس كومبي ومدير التحقيقات الفيدرالية الأمريكية السابق: (عندما يكتمل فسادك ستأخذ مكانك كشخص مذموم في مزبلة التاريخ). وقال: (سيعرف الشعب الأمريكي من هو الشريف، ومن هو غير شريف ؟). وقال عنه بعد صدور كتابه في 15 نيسان 2018: إنه غير أخلاقي ولا يصلح لقيادة الولايات المتحدة، فهو يكذب في الصغيرة أو الكبيرة. وهو يتعامل مع النساء ككتلة لحم، ويمارس الكذب والتلفيق. ووصف سياسة الولايات المتحدة بسياسة التهريج والتلفيق، بسبب هذا المهرج المتربع على سياسة الولايات المتحدة . وقد أصدر كتابه الشهير في 20 نيسان 2018 بعنوان (الولاء الأعلى)، وفيه الكثير من الحقائق التي تتحدث عن المستوى الأخلاقي السيئ المذموم الذي يتحلى به دونالد ترامب.

> كل الهجمات العدوانية، التي شنها الكيان الصهيوني على الأراضي السورية تمت بموافقة ترامب نفسه.

ويفي مقابلة لترامب مع مجلة (التايم) قبل توليه الرئاسة في 15 كانون الثاني 2017 تحدث عن الأزمة السورية، فأظهر فيها الابتزاز العلني لنهب ثروات الخليج، حين دعا إلى إقامة مناطق آمنة داخل سورية تدفع دول الخليج نفقات إنشائها، لأنهم يملكون أموالاً طائلة. وشبه تلك الدول بالبقرة الحلوب، يجب أن يأخذ كل حليبها، ثم يذبحها. ثم عاب على المستشارة الألمانية ميركل بأنها قبلت مليون مهاجر، وعد ذلك أحد أخطائها الكارثية بسبب عنصريته وكراهيته للمسلمين.

لقد كانت الغالبية من الشعب الأمريكي ترفض تنصيبه رئيساً لهم، وقد أجرت مؤسسة (غالوب) استطلاعاً شعبياً قبل تنصيبه ما بين 7 و8 كانون الثاني 2017، ووصلت إلى نتيجة بأنه أدنى كل الرؤساء الأمريكيين شعبية قبيل توليهم السلطة حيث بلغ عدد المؤيدين له 40%، في حين كان سلفه باراك أوباما 78%، وجورج بوش الابن 62%، وبيل كلينتون 66 %. وكل وسائل الإعلام نقلت المسيرات التي ضمت آلاف الأمريكيين التي ترفض وجود ترامب على رئاسة دولتهم.

إن الحركة الصهيونية العالمية هي التي أوصلته إلى منصب رئاسة الولايات المتحدة، من أجل أن يكون تابعاً لها ينفذ لها مشروعها السرطاني في العالم. ومن الدلائل الأولى على تبعيته لخدمة الحركة الصهيونية، ما جرى في حفل تنصيبه كرئيس للولايات المتحدة في 20 كانون الثاني 2017، عندما أحضر رجل دين يهودي مع رجل دين مسيحي متطرف متصهين من الطائفة الإنجيلية، ليقسم أمامهما بالمحافظة على دستور الولايات المتحدة. ولم يأت برجل دين مسلم على الرغم من وجود ما يقارب العشرة ملايين مسلم أمريكي. وقال رجل الدين المسيحي الإنجيلي في حفل التنصيب: (إن الله كلفنا في حكم العالم). وأكد على ذلك ترامب في خطاب القسم، وذكر بأنه سيستأصل شأفة الإرهاب الإسلامي من الأرض. وكأن الإرهاب فقط موجود في المسلمين، وغير موجود عند الآخرين، ففي الولايات المتحدة عشرات العصابات الإرهابية تنتشر في مدنها وأسواقها وشوارعها، وتغافل عن الكيان الصهيوني الإرهابي، وما يحوي من عشرات المنظمات الإرهابية، وتناسى أن كل البحوث والدراسات العالمية تؤكد أن الإرهاب الإسلامي صناعة المخابرات الأمريكية والغربية والصهيونية؛ لتحقيق مصالحها في المنطقة الإسلامية، وتشويه صورة الإسلام في العالم، وقد اعترف بذلك كبار رجال السياسة الأمريكية السابقين كالسيدة كلينتون منافسته على الرئاسة، واعترف ترامب بذلك في حملته الانتخابية الرئاسية عام 2016 في مناظرته مع هيلاري كلينتون.

> الصهيونية العالمية أوصلته إلى منصب رئاسة الولايات المتحدة، من أجل أن يكون تابعاً لها ينفذ لها مشروعها السرطاني في العالم.

وعلى الرغم من الهزات التي أصابت وتصيب باستمرار إدارة ترامب، فإنه يجد النصرة من الحركة الصهيونية التي يعتمد عليها بشكل كبير، وخاصة على صهاينة الولايات المتحدة والكيان الصهيوني، والمجموعات الإنجيليكية التي تؤمن بضرورة تهويد القدس، وبهدم المسجد الأقصى؛ لبناء الهيكل المزعوم حتى تتسارع عملية نزول المسيح عليه السلام. هذه الطائفة التي ازداد ظهورها بعد نكسة حزيران 1967، واعتبرت الانتصار الصهيوني معجزة إلهية، وقد استثمر الصهاينة في الولايات المتحدة معتقدات والأساطير هذه الطائفة، وتوظيفها لخدمة المشروع الصهيوني لتحقيق أهدافه. كما استثمرها اليوم ترامب في تحقيق أهدافه، وما قراره بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس، إلا لكسب هذه الطائفة المتصهينة، لدعمه بالترشح لفترة ثانية لرئاسة الولايات المتحدة.

ومن دلائل صهيونيته عين أغلب مستشاريه من المتصهينين، واعتمد على صهره كوشنير اليهودي زوج ابنته التي اعتنقت الديانة اليهودية، وربط حكاما عربا في حلف مع الصهاينة من أجل تصفية القضية الفلسطينية. وأرسل إلى القدس سفيراً يهودياً كان يقود حملته الانتخابية، ليعزز العلاقة الأمريكية والخليجية مع الكيان الصهيوني. وشكل إدارة أمريكية متصهينة ضمت عشرات من اليهود والطائفة المسيحية الإنجيليكية المتصهينة، وجلب صقور اليمين المسيحي المتصهين الذين كانوا يعملون في إدارة جورج بوش الابن أمثال جون بولتون الحاقد على الإسلام والمسلمين، والذي يدعو إلى حرب مدمرة ضد إيران، فعينه مستشاراً للأمن القومي، وبومبيو على الخارجية وهو من المعادين بشدة لإيران وسورية وقوى المقاومة.

وأظهرت وسائل الإعلام العالمية أن كل الهجمات العدوانية، التي شنها الكيان الصهيوني على الأراضي السورية تمت بموافقة ترامب نفسه، فقد اعترف نتنياهو رئيس وزراء الكيان الصهيوني بأنه تشاور مع ترامب قبل تنفيذ الضربات على سورية، وقد نقلت صحيفة (وول ستريت) الأمريكية في 18 نيسان 2018، وذكرت الصحيفة إن ترامب أكد لنتنياهو دعمه الاستراتيجي له بضرب المواقع الإيرانية في سورية، وذكر نتنياهو أن عدوانه على مطار التيفور تم بدعم ترامب.

واليوم ترامب الذي يحلب من دول الخليج مليارات الدولارات، وذهبوا رغبة منه ورهبة إلى حلف مع الكيان الصهيوني، وقال عنهم في آخر تصريح في 24 نيسان 2018: هناك دول لديها غنىً فاحشاً، وقد حميناها، ولولا حمايتنا لها لسقطت خلال أسبوع، فعليها أن تدفع تريليونات من الدولارات، وأن يسددوا، ويدفعوا. وسيدفعون! !. وبتوجيه منه غدا الحلف الصهيوني الخليجي وخاصة السعودية علنياً من دون حياء، يهاجم قوى حلف المقاومة، ويتآمر يومياً ضد الفلسطينيين، ويسعى إلى تصفية القضية الفلسطينية تحت ما يسمى مشروع القرن، ويدعم مادياً وعسكرياً ضد سورية، ويبغي ويمارس كل أنواع التدمير والقتل والإبادة ضد الشعب اليمني المظلوم.

وهكذا استطاعت الحركة الصهيونية أن تضع رجلاً معتوهاً كذاباً مجنوناً جنسياً لا يحمل أي معيار أخلاقي، لينفذ لها كل بنود مشرعها السرطاني.

رواية العتريس
رواية استمدّت أحداثها من الخيال المحلّق

• إسماعيل الملحم

رواية (العتريس) هي الرواية الرابعة التي يصدرها الكاتب هيسم أبو سَعيد بعد رواياته الثلاث: تسعاً وتسعين أغنية، خيوط الهواء ونهايات الحواتم، إضافة إلى مجموعة قصصية وكتب أخرى في مسرح الطفل والشعر الموجه للأطفال وغيرها. رواية الكاتب الجديدة تتفرد بجنوحها نحو عوالم تخييلية تمعن في الغوص داخل النفس الإنسانية، وتتميز عن غيرها في أنها لا تستمد أحداثها من وقائع تاريخية أو اجتماعية سائدة، أو متمردة على السائد في عالم الرواية المعاصرة، على الأقل، فيما تصدره دور النشر العربية هذه الأيام إذ تتخذ من الحوادث التاريخية عموداً فقرياً تنسج عليه مسرودات روائية لا تخلو من التشويق والمتعة. في هذه الرواية التي بين أيدينا تسير الأحداث والجمل والأسماء بعكس السير، التخييل فيها -كما سيق- هو سيد النص متجاوزاً الواقع، بل إن الرواية -كما كتب الناشر على الوجه الخارجي للغلاف الأخير- تستمد أحداثها من الخيال المحلق الذي لا يمكن إلا أن يكون قد أقلع من الأرض، حيث تعلم أن يفرد جناحيه ويرفرف بهما. ناظراً في عين الشمس هدفاً وتحدياً، بقدر ما تستمد من الغوص في أعماق الكائنات البشرية الجبارة الهزيلة...العاشقة الحقودة.. ناهضة بعبء ما هو الأكثر من السائد بين الروايات التي تغزو الساحة الأدبية.

تعتمد الرواية التداعي -تداعي الصور وتداعي الأفكار- أسلوباً، ولكنه التداعي المشدود إلى النص يحفظ له وحدته فلا تتفلت خيوطه إلى حيث تسوقه رشاقة الكاتب في صوغ العبارات والجمل إلى غير خط أو حدود.

استطاعت الرواية أن تنشئ عالمها المتفرد في لوحة شاملة متماسكة، تضبط في داخلها لوحات متتابعة تشكل كلاً منها خصوصية ما، لكن دون أن تغادر اللوحة الكلية وقد تصلح كل لوحة من اللوحات الفرعية المئة والخمس والثلاثين أن تكون قصة قصيرة بشكل ما داخل وحدة الرواية التي تُشد إلى بعضها خيوط الدسائس المتخيلة التي لا تنتهي.

لا تقنع النفس البشرية بموجود يحمل في ذاته كمّاً من تناقضات، ولا بما يعتمل فيها جراء الإحباطات، ولكنها لا تستوقفنا عن التفكير بما تحمله من افتئات على حقوقها التي منها أحقية الإنسان في الحياة، وشعوره بالأمان. ولكنها تقف حائرة، ولا تجد بداً من الاستسلام لقدرها عندما تحرم من هذه الحقوق ولا تجد بداً من الانصياع لممارسات الطمع والتآمر والإذلال وغيرها من صور لا تنتهي إلا عندما يطوي على الرواية غلافها الأخير. يكبل هوس السلطة والاستفراد بها، والسعي للحصول عليها والاحتفاظ بها بكم الدسائس والتآمر، فلا ينجو من العسف والغدر والقتل أب أو أخ أو أم أو صديق. فكأن الراوي يأتي بالبراهين القاطعة على صدق مقولة ذلك الفيلسوف الذي قال قولته المأثورة: الإنسان ذئب الإنسان:

استوى العتريس، بطل الرواية التي اتخذته عنواناً لها، على عرشه ... ضاقت القاعة الفسيحة عن أن تتسع لعينيه... ورعيته من حرس وخدم ووزراء منبطحين حوله أقصاهم عنه بعدٌ أكبر من أن يسمعهم عبره أو يراهم ... فهو لا يرى فيهم أكثر من دمى مفرغة من قشها مربوطة إلى أصابعه بخيوط ذلها واستكانتها وخوفها، ليأمر بما لم يخطط له، بالحداد في كل أرجاء المملكة على ما لم يعرفه الناس، لكنه حداد أتى لينقذهم من حفرهم، ولو إلى حين، حيث ينبغي أن يتوقفوا عن أي عمل يلهيهم عن حزنهم لحزن العتريس حتى لو لم يعرفوا له سبباً.

سكن الرعب العيون التائهة المتوجسة يهرب أحدهم من الموت فيجذبه المكان الذي كان شاهداً على نذالته وتفريطه بمن أحب من امرأة هربت معه من قصر أهملها، والرعب من أم يرفض الدفاع عنها.

الدسائس لحمة الأحداث وسداها، لا يتورع أحدهم عن الغدر بأقرب الناس إليه واغتيال الضحية وتعذيبها، ظلت العرافة العجوز تدور وتتحايل لتصل إلى النقطة نفسها. وبقي هو عند هواجسه التي كان التوجس منها يملأ روحه المفعمة بالسواد الذي زاده قتامة، ووجه العجوز المرعب لم يكن إلا صورة ممسوخة من هذا الظلام.

لم ينفعه الهرب من أبيه الذي استوزره

> الدسائس لحمة الأحداث وسداها، لا يتورع أحدهم عن الغدر بأقرب الناس إليه واغتيال الضحية وتعذيبها.

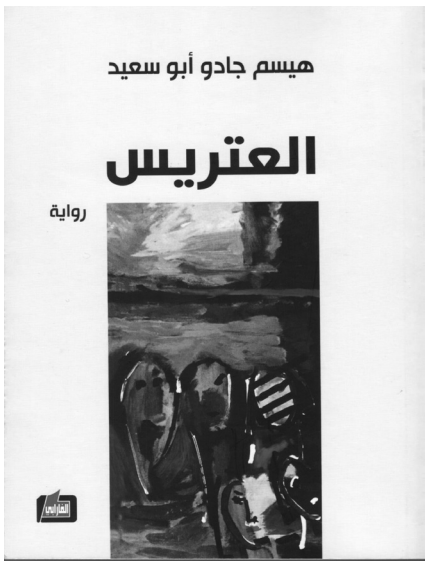

ملكٌ لم يعد له اسم، راح الوزير يحوك لنفسه ثوباً نسل خيوطه من أثواب الملك حتى عري الملك واكتسى حائكه. إنها الحكاية نفسها بين وزير وملك منذ الحائك الأول. وفي كل زاوية يكون لجارية أو بضعة جواري قصب السبق إلى دسيسة أو جريمة قتل وما شابه ذلك. تحولت الفارعة الجارية المفضلة إلى خنجر مسموم انغرس في ظهر الملك ووضع في ثوب المكيدة القطبة الأخيرة. لم تكن سيرة الحائك مع المحظيات والجواري تختلف عن أية سيرة من سير الأولين التي حاكتها عبقرية شهر زاد وبرعت في صوغها مسلسلاً امتدت حلقاته لتصير ألفاً وواحدة لكنها ما عرفت أن تكتب له النهاية. الحائك الثاني، وربما كان دوره أكثر من رقم اثنين، لم يقلع عن أصحاب الجلالة الأفلة سلطاتهم، بل مارس شهواته بسادية عالية، لم يكن عري الجواري طلباً لإشباع شهواته، وإنما ليأمن من خنجر تكون إحداهن قد غطته بثوب من ثيابها.

كأن العقم داء الحائك في كل العصور، يلاحقه الشك ويقض مضجعه، أروى التي هجرها الحائك ولم ينجب منها تهرب مع أحد العبيد. بينما كان زوجها مشغولاً بحوك ثوبه.

حملت الفارعة سفاحاً بتوءمين، أحدهما العتريس -الرجل الغضوب الجبار وله غير تلك الصفات مضافة إلى هاتين الصفتين منها العنف والانقضاض على من يظن أنه قد يفكر يوماً ما من الانقضاض عليه.

لم تكن الجارية لتستسلم لمصيرها، ولا أن تغادر ساحة المواجهة، وإن تكن قد انكفأت متربصة لأي حدث قد يحدث.

التوءمان لم يستطع العتريس إلا أن يعترف ببنوته لهما، مع أنه لا يخالجه شك بعقمه. فمن سيكون ولي عهده فلا يتآمر على أبيه الملك

> تعتمد تداعي الصور وتداعي الأفكار- أسلوباً، ولكنه التداعي المشدود إلى النص الذي يحفظ له وحدته فلا تتفلت خيوطه.

كعادة الملوك؟ على الفارعة أن تحدد أيهما الذي نزل من رحمها أولاً؟ وقعت الأم بالحيرة فهي لا بد من أن تدلي بشهادتها، لكنها تريد لولاية العهد من تستطيع أن تحكم من خلاله بعد موت العتريس، وطلبت التريث لتتذكر...

لم يكن العتريس من السذاجة فيسلم رقبته ومصيره للفارعة. لم تكن الفارعة أقل مكراً وهي التي قتلت الملك ليصير الملك للعتريس بعده، لماذا لا تكون الجارية أم ولي العهد فتصير معه الملكة الوالدة؟ ولماذا لا تقول أن أضعف التوءمين هو الأول فهو ألين عريكة فيحقق رغباتها؟ وظل الملك في حالة حرب مستمرة وعلى جبهات عدة، يخوض حروبه غي المعلنة، "سلاحه تلك العيون التي بثها في كل مكان من القصر وإلى قوافل التجار تحركه رغبة جامحة في التسلل إلى الرؤوس للبحث فيها عما يشي بذاكرة مخبوءة في ظلام الجماجم".

هزأ بما وعده به أحد أمرائه من الخضوع والطاعة، فواجهه بما كان يضمره من الغدر به فقتله ودمر كل ما بناه، عملاً بقرار ثابت لديه:

(لن يتخذ أميراً لكورة أو إقليم ما لم يكن جرذاً رعديداً غلبت عليه البطنة وخاصمته الفطنة). ملك لم ينجُ من بطشه وظلمه حتى أولئك المكدودين. ليظل أمثال هؤلاء في العراء يعيشون من قلة الموت.

للملوك طرقهم في الاستقواء على الآخرين مهما كانت مراكزهم:

(أمر الملك أمراءه أن يقلعوا عن عادة الانحناء له وأمرهم بأن يسجدوا إذا ما مثلوا بين يديه. لم يكتفِ هؤلاء بالسجود، بل انبطحوا عند قدميه.

رواية تستحق المزيد من القراءة والتأمل إن في بنيتها السردية، وإن بلغة الكاتب عميقة الغور والتي تنم عن ثقافة لغوية تستحق التنويه.

رحيل الأديب الدكتور علي سليمان أحمد

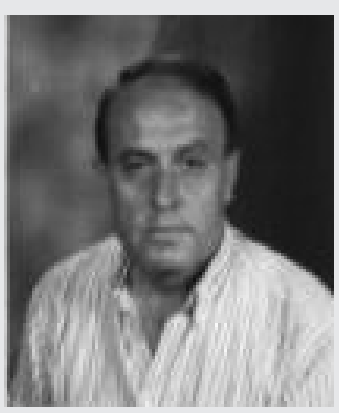

نعى اتحاد الكتاب العرب رحيل الأديب الدكتور علي سليمان أحمد في الأسبوع الماضي.

والفقيد من مواليد اللاذقية سنة 1949.

عضو جمعية البحوث والدراسات عضو هيئة التدريس بجامعة دمشق

مؤلفاته:

1- الأندلسيون والمغاربة في بلاد الشام.

2- القضاء في المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى.

3- معجم أطباء المغرب والأندلس.

4- تاريخ المغرب العربي الإسلامي.

رئيس اتحاد الكتاب العرب وأعضاء المكتب التنفيذي وأسرة تحرير «الأسبوع الأدبي» يتقدمون بأحر التعازي من ذوي الفقيد، راجين الله عز وجل أن يتغمد الفقيد بواسع رحمته ويلهم أهله وذويه الصبر والسلوان.

وإنا لله وإنا إليه راجعون

إذا ما هرمت الأنهار

• بديع صقور

«لقد أبحرت السفينة، وليس في
وسعنا إلاّ أن نمضي»
لقد اشتعلت الحرب، وليس في
وسعهم إلا القتل ..

إذا ما هرمت الأنهار
إذا ما ابتعدتْ عن البحر
ووطئْتَ أرضاً لا تقطنها بحيرات
لا تفكر بامتلاك
ولو زورق واحد من ورق.
×××
ما أكثر القتلة
ما أكثر الذين يحلمون
بالفتوحات والأمجاد
التواقون لأن تبقى أكفّهم
مخضبةً بالدم
هم من قطعوا شجر الشمس
هم من جففوا نهر القمر.
×××
لنا ضحكاتُنا
ولهم أنيابُهم.
ولنا أغانينا
ولهم مخالبهم.
لنا الهواء والشمس
ولهم الأقبية والكهوف..
تركاتنا التي سنورثها لأحفادنا
القادمين
أسرابٌ من الفراشات
وحقول من الأغاني
تركاتهم التي سيورثونها للأشرار
مزيداً من الحروب
ومزيداً من القبور.
×××
ليس في وسعنا أن نحاورَهم
وليس في وسعهم أن يكبحوا جماحَ
طباعهم ..
مثلَ العصافير بعد كلِّ المغيب
نكفُّ أصواتنا
ومثلَ الضباع بعد كلِّ المغيب
يواصلون نبشَ القبور
بعد كلِّ مغيب
دائماً جاهزون للعبث برياحين
أرواحنا، الوادعة.
×××
على أطلال هذا الخراب
تتربص بنا ذئاب اللحظات
المنقرضة
لتمزق كتب أعمارنا الذهبية ..
هنا، على أطلال هذا الخراب
هنا، على أغصان شجر السماء
نعلق وصايانا
وتمائم جدّاتنا الراحلات
على مشاجب الخوف
هنا، فوق حجارة هذا الغيم
في صدر بيت السماء
يجلس أطفالنا
وفوق وجوههم الشاحبة
تعلو طيوفُ وصايانا كالقلاع
وهناك، فوق صهواتِ بلادٍ
عجفاء
يسابقون امرأ القيس
إلى جنائن قيصر.
هناك، كما الصغار يتراشقون
بماء النهر
هنا، فوق هذي البطاح
نتراشق بالرصاص ..
على جراحنا يموتون
وعلى أكوام أجسادنا
يرقص الغزاة فرحين
ومن دموع أطفالنا
يتدفق نهر الحياة
من جديد.

ارتقاء مقدس

•ميادة يونس الاشقر

أيها الشهيد ؛
رحيلك يهدينا
قصائد نور
أشرعتها زرقاء
أبواب أمل
مفاتيحها الصبر
يعرش عليها الفرح
أشجارا باسقات
كأنت ....
أيها الشهيد ؛
إنّا نحب رحيلك
على طريقة الشمس
وحضورك
على طريقة القمر
ونعشق أسراب فراشات
تحلق أبدا
بحثا عن زهر بلون عينيك
و حمائم الأموي
لاتزال تنقر
قمح النصر من يديك
أيها الشهيد ؛
يامن اقتلعت الشوك
والرصاص
من جسد الحياة
كيف لملامحنا
أن تشبه
يوسف وجهك
كيف لحضورنا
أن يشبه
صلاة خشوعك
كيف لأنفاسك وذكراك
أن تشعل
موقد الشوق والحنين
في صدورنا
كيف للنسور أن تقاوم
قمم مرقدك الشامخة
أيها الشهيد ؛
طيفك يلبس الريح
فينشر رائحة وضوئك
وعبق تسابيحك
فأنت القبلة
وأنت الجهات

حلم النصر

• رغداء أحمد عيد

يهلُّ حريفٌ، كؤوس الشم تسكره،
وينتشي، فدمشق الخير تغمره
تهمي القوافي دموعاً، ليت أولها
يدري بما آخر المبكى سيستره
هل أُستباح إذا ما انتابني وجعٌ؟
لا، ياسمين الهدى حمداً سينكره
بأي حرفٍ أناجي من فدى بردى
فأقبل العمر مفتوناً يزنره
بكلِّ بحرٍ أرى الأشعار باكيةً
ما أوجع الحرف حين الدمع ينثره!
أرى بعينيه حلم النصر ملتحفاً
صبر الذي بالغد الأحلى يبشره
جراحه تصطفيها الحرب أوسمةً،
وفي ثرى جوبر الأبطال تذكره..
شتان بين الذي للعز نفرته
وبين من عاش جهلاً لا يوفره
مادام للشام أسد المجد تحفظها
فالياسمين له جيشٌ يسوره
آمنت أنه للأوطان حافظها
وللكرامة بابٌ منه نعبره
لولاه كان للدجى في دارنا حكماً
يقاصص الصبح صلباً، أو يكفره
هذي الشآم انبرت للنصر صابرةً
فجاءها من جنوب القلب مئزره
ذي قبلة الضاد والتاريخ يعرفها
تسيدت في المدى بالفكر تبهره
يفنى الزمان وتبقى الشام حاضرةً
كنور فجرٍ يهش الدهر يحشره

أمواج

• خالد بدور

منحت حبي مدى عمري فأجهدني
وما لقيت من الأحباب أحبابا
تطيَّر العمر في وهم وفي حزنٍ
وزادني الدهر أحزاناً وأوصاباً
أعايش الوقوف كالمسكون في قلقٍ
وأسكن الشك مغلوباً ومرتابا
سئمت عيشي حتى ملني سأمي
وصرت أشكو على الأيَّام أعصابا
وكنت أشدو كما الحسون في فرح
أسمر النجم طول الليل أنخابا
وأقتفي الطيف علَّ الطيف يأسرني
وألتقي من بقايا العمر أصحابا
تلون الناس واهتزت ضمائرهم
وأدمنوا اللون نبراساً وجلبابا
مشاعر الناس كالأمواج في صخبٍ
تراوغ الفكر بالإيهام أسبابا

كواعبُ من الغيم

• منير خلف

هي الغيمةُ الخضراءُ ..
قلبي لَبُوسُها
تمرُّ على الذكرى
فتسمو نفوسُها

كأنّ على النايات
بوحيَ هاطلٍ
أصابعُنا الإحساسُ،
هيْمَى رؤوسُها

شربتُ رحيق الحرف
حتى ظننتُني سليلَ المعاني
فاصطفتني كؤوسُها

على شجر الإلغاز
حطّتْ يمامتي
فأنّى أداريها
وكيف أسوسُها ؟

سفحنا دمَ الأحلام
تحتَ رؤوسنا
ففاضَتْ أزاهيرٌ
وهامَ جلوسُها

على قلق الإعلال
بدّلتُ حاجتي
هي الحربُ
قد عادتْ إليك بسوسُها

لئن غُرست
في عتمة الخوف
هامتي
فإنّ دماءَ
تُستفزُّ شموسُها

سترقى
لكي تُلقى الغياباتُ كلُّها
بجُبِّ الليالي
أو تُبادَ فؤوسُها

وإن كان
صفوُ الحبّ جرحاً
فإنّ بي
جراحاً تعاديني،
ولستُ أدوسُها

تلفتّ حولي
إذ رأيتُ كواعباً
من الغيم
قد هاءَتْ إليَّ عروسُها

وحين صبايا النور
هدهدنَ وحشتي
صعدتُ إلى ذاتي،
وكدتُ أبوسُها

تنفّستُ صوتاً
من أعالي جمالها
أساورُها صمتي،
ونفسي طقوسُها

فيا ليتَ عمراً آخراً
عشتُ حولها
ليسعدَ
في دارِ الحياة يَؤوسُها

ويا غيمةً
في دفتر العمر
إنّ لي بياناً
خلال الذكرياتِ
يجوسُها

فإن كنتَ لا تدري
فهذا كتابُها
وإن كنتُ ظمآناً
فتلك دروسُها

بكاء ناي

•زهير حسن

هي لي
تلك الناي النائمة
خلف هموم الدهور،
لم أشأ
إيقاظ ألحانها المتعبة
فكل ما في الزمان متعبٌ
حتى الثمالة
وكل الدم البارد على جدران
الحياة
مهدور ..
كلما لامست أصابعي ثغورها
التفت حذر المغيب
خشية تستفيق الروح
وتعبر مسرح الأحزان
يمامات السراب
فينحت اختناق الدمع فيها
دربه إلى الغابة
يعانق ما بقي من خريف
لتختفي كل الدروب ..
فاعزف معي أيها المغني
رحلة الموج الكفيف
فرملنا باقٍ والأرجوان
وفي الأفق القريب عصفور ...

الغياب

• اسكندر نعمة

أيقنَ جدّي أنّه ليس وحيداً في البيت، الجميعُ منتشرون في أرجاء البيت الواسع، ولكنّه كان مُتأكّداً أنّ أحداً ما لن ينتقلَ من غرفة إلى أُخرى، ولن يختلسَ النّظرَ في هذا الاتّجاه أو ذاك، فكلُّ فرد من العائلة الكبيرة مُلتزمٌ غرفتَه، يُمارسُ فيها هوايتَه المُفضّلة.

اطمأنَّ جدّي إلى أنّ كلَّ ما سيفعلُه لن يراه أحدٌ، ولن يسألَه أحدٌ عن شيء من تصرّفاته، فأخي الأكبرُ كعادته يقبعُ في غرفته ولن يبرحَها مهما حصلَ، لأنّه مُستغرقٌ في قراءة رواية عاطفيّة.

رفعَ جدّي نظّارتيْه السّميكتيْن، وراحَ يتحسّسُ جسدَه برويّة غير معهودة . وفجأةً أخذَ يخلعُ ملابسَه التّقليديّةَ قطعةً إثرَ قطعة، حتّى غدا عارياً لا يسترُ جسدَه شئٌ حتّى ورقة التّوت ... راحَ جدّي يتفحّصُ جسدَه النّحيلَ الضّئيلَ، ويلامسُ قامتَه المُنتصبةَ المشوقةَ بأناملَ مُرتجفة وكفّين معروقتين، وذراعيْن كتلكَ الأسواكِ الّتي كان يضعُها ليسندَ فيها الأشتالَ في حديقة بيته الرّيفيّ الجميل.

قادَتْهُ قدماهُ باتّجاه الحمّام . كان يسيرُ بخطُوات ثابتة وواثقة . خاطبَتْه نفسُه هامسةً : " ما زلْتَ قويّاً يا رجل، لا تخْشَ غائلَةَ الزّمن، لا تَستسلم " . ولَجَ عتبةَ الحمّام مُبتسماً لهذه الخواطر الجميلة . أغلقَ البابَ بهدوءٍ اعتادَه دائماً . أعادَ التّأمّلَ المُطمئنَّ إلى جسده النّحيل . استعانَ بالمرآة المعلّقة على الجدار الجانبيّ . كانت المرآةُ تملأُ نصفَ فراغ الجدار، ولكنّها كانت قد ازدادَتْ قتامةً جرّاءَ توالي السّنوات المديدة، الصّدأُ الأسودُ يملأُ حوافيها ويأكلُ بهاءَ انعكاس صورتها . هالتْهُ الثّنايا وأشكالٌ من الكهوف والتّضاريس تملأُ ساحةَ جسده . استدارَ في كلّ الاتّجاهات . ضحكَ كثيراً، واكفهرّ وجهُه أحياناً أُخرى . مدَّ يدَه ولامسَ بأطراف أنامله سقفَ الحمّام . أيقنَ أنّه ما يزالُ نشيطاً قويّاً وحمدَ ربَّه أنّ التّضاريسَ المُخيفةَ لم تستهلكْ كلَّ جسده بعدُ ... أغمضَ عينيْه وغاصَ في دهاليز تداعيات وذكريات مُضيئة حيناً ومظلمة أُخرى . قادَتْه تلكَ التّداعياتُ المُتداخلةُ إلى أيّام الشّباب، أيّامَ لم يكن يخافُ من شئٍ ويستطيعُ كلَّ شئ . فجأةً ومن دون أن يدري، حرّكَتْ أناملُه صنبورَ الماء السّاخن القابع فوقَ حوض الاستحمام، وتطايرَ الرّذاذُ في كلّ اتّجاه، الأمرُ الّذي أعادَ جدّي من ساحة تداعياته البعيدة . انسحبَ من الدّهاليز المتشابكة الّتي كان يمخرُ فيها، وأخذَ يُهيّئُ نفسَه كي يستحمَّ فيستريحَ . شعرَ جدّي وهو عارٍ تماماً أنّه أكثرُ راحةً ونشاطاً . سُرَّ لهذه المشاعر المكبوتة وراحَ يستدرجُها . امتدّتْ يدُه من جديد وحرّكتْ صنبورَ الماء البارد، وبدأَ بأطراف أنامله الهزيلة يُحرّكُ سطحَ الماء ليتأكّدَ من ضبط الحرارة واستوائها، وسرعانَ ما أصبحَ سطحُ الماء الّذي يملأُ الحوضَ شفّافاً هادئاً لا حركةَ فيه . أدخلَ جدّي قدميْه الواحدةَ تلوَ الأُخرى، وراحَ يبحثُ عن اتّصال دافئٍ يملأُ مفاصلَ جسده . استسْلمَ لدفء لذيذ يغزو فيه كلَّ ثنيّة . أغمضَ عينيْه، تنهّدَ بعمق، عادَتْ به ذاكرتُهُ إلى أحداثٍ موغلة في القدَم ... تبّاً لهذه الذّاكرة . مرّةً تكونُ مُتوثّبةً وقّادةً، وحيناً تخبو فتخذلُني ... تذكّرَ طفولتَه المُتأرجحةَ بين البؤس والفرح . تذكّرَ ذلكَ الطّفلَ الّذي كان يلهو في الشّارع، يرتدي بنطال " الشّورت " ويقفزُ فوقَ درّاجته الهوائيّة ... هتفَ داخلُه : " ما أجملَ أيّامَ الطّفولة " ...كانَ حيُّه الصّغيرُ يبدو له واسعاً وكبيراً جدّاً . كانَ يمخرُ في الشّوارع بدرّاجته الّتي أعياها الزّمن . البيوتُ من حوله تضجُّ بإضاءات أوّل اللّيل . تمرُّ إلى جانبه عشراتٌ من الظّلال . وجوهٌ بلا أسماءَ يعرفُها . بعضُ وجوه لطيفة مُبتسمة، وبعضُها مُتجهّم، وكأنّما يتأهّبُ لتأدية فروض جنازة . شابٌّ وفتاةٌ يعبرانِ مُتمهّلَيْن، ينثران الضّحكَ والفرحَ والمرحَ وكلَّ خيرات الدّنيا... آهٍ ... متى يُتاحُ لي ذلك ؟ . أم أنّ ذلك عالَمٌ آخر !!! ... أصواتُ احتفالات تثقبُ أذنيْه من بعيد . إنّها حفلةُ زفاف . رقصٌ وغناءٌ وعالَمٌ آخرُ... أوقفَ درّاجتَه، تأمّلَ حولَه ... من هناكَ، من خلف تلك السّتائر البعيدة ينبعثُ ضوءٌ خافتٌ يُخفي أسراراً كثيرةً ... أصواتٌ هامسةٌ حيناً وضاجّةٌ أحياناً، تتناثرُ من حوله فتعيدُه إلى واقعه الصّبيانيّ ...

خريرُ الماء المتواصل من صنبور عُلويٍّ، قطعَ عليْه حبلَ تداعياته الصّبيانيّة . سُرعانَ ما قفزَتْ به الذّكرياتُ إلى عالَم آخرَ . الشّيْبُ يغزو مفرقيْه، والزّمنُ قد بدأَ ينحتُ فيه أخاديدَهُ . ما أروعَ تلكَ الذّكريات السّعيدة . هذا البيتُ الّذي بناهُ حجراً فوقَ حجر، ولَبِنةً إلى جانب لَبِنة . مسحَه بعرَقه وأعصابه، ونثرَ عليْه عُصارةَ حياته وعمره . ذاقَ مرارةَ الجوع والتّعب ليستكملَ حُجُراته وزواياه ... عندما استقرَّتْ خواطرُه عند شُرُفات البيت الواسع الجميل، كانت الفرحةُ تعمرُ قلبَه وكلَّ نبضة في عُروقه ... لقد بنى بيتاً . وطَناً . مُستقرّاً . أشادَ حياةً...

شيء ما وخزَ جدّي من الدّاخل، حرّكَ فيه أحاسيسَ لا حصرَ لها . انتصبَ في وسط حوض الاغتسال . أغلقَ الصُّنبورَ الّذي كانَ يلفظُ أنفاسَه قطرةً قطرة . اشرأبَّ على أطراف أصابع قدميْه، وراحَ عبرَ نافذة الحمّام الصّغيرة يُكحّلُ ناظريْه بمرأى البيت الواسع الجميل . ابتسمَ بعمق وأخذَ يُتمتمُ بكلمات غير مفهومة وهو يهبطُ ويهبطُ ببطء شديد حتّى استقرَّ في قعر حوض الماء . لاحَتْ له سنواتٌ قديمةٌ مضَتْ . ركّزَ جدّي ناظريْه في المجهول . جمُدَتْ حدقتاهُ واكفهرَّ وجهُه وراحَ يستدرجُ تلكَ الذّكرى المريرةَ... انتصبَ أبي وأعمامي في مُواجهة جدّي يُلحّونَ عليه بأن يبيعَ البيتَ، البيتَ الّذي أشادَه جدّي بالعرق والدّموع والحنان والأمل . ألحّوا عليه برفق حيناً وبقسوة أحياناً ..." الحياةُ هنا لم تَعُدْ تُطاقُ.. علينا أن نرحلَ . أنْ نبحثَ عن حياة أُخرى، عالَم آخرَ . يجبُ أنْ نبيعَ البيتَ ونرحلَ " ... كان رفضُ جدّي أقوى من إصرار أبي وأعمامي . تراجعوا عن إرادَتهم، ولعلّه كان تراجُعاً إلى حين...

مزّقَتْ هذه الخواطرُ المُرّةُ أحاسيسَ جدّي . لم يعدْ يُحسُّ بشيء ممّا حولَه . لم يعد الماءُ الّذي يغمرُه ساخناً أو بارداً . شيء هلاميٌّ يُحيطُ بجسده . امتُقعَ لونُه وبدأَتْ قُواه تخورُ . صوتٌ ما هتفَ في داخله : " تماسَكْ . تشجّع " ... أسندَ كفّيْه المُرتجفتيْن إلى جانبَيْ حوض الماء . مدَّ ساقيْه ما استطاعَ . استلَّ نفساً عميقاً . أسندَ ظهرَه إلى أقربِ زاوية من الحوض، وراحَ عُنقُه يترنّحُ حتّى استقرَّ...

طالَ غيابُ جدّي في حوض الاستحمام . كنتُ أنا وحيداً في غرفتي الخاصّة المُلاصقة لغرفة نومه . أُحبُّ جدّي حتّى الثُّمالَة . استبدَّتْ بي خواطرُ أفزعتني جداً . هُرعْتُ نحو الحمّام والعرقُ يتصبّبُ من جبيني . استَرَقْتُ السّمعَ فلمْ أسمعْ أيّةَ حركة أو نأمة... آه... ما الأمرُ؟ ! . صرخْتُ بما يُشبه الاستغاثة : جدّي .. جدّي.. جدّي ... لمْ يردْني أيّةُ إجابة . مزّقني الهلَعُ والفزَعُ ... أسرعْتُ إلى والدي . كان يشاهدُ التّلفازَ . أسْرعَ والدي مُتلهّفاً، واستفاقَ أخي على صخَبِنا العَجول .اقتحمْنا معاً بابَ الحمّام ... كان جدّي مُسْجىً على ظهره . عيناهُ منفتحتانِ على وُسعهما، وهو يرسمُ نصفَ ابتسامة، وكفّاهُ معقودتانِ إلى بعضهما ... لم يلتفتْ إلينا، فأدركْتُ وأبي وأخي أنّ جدّي يشعرُ بسعادته الأخيرة في عالَم آخرَ ...

نظرْتُ إلى أبي . كان وجهُهُ مُمتقعاً، وبعضُ دموع صامتة تنحدرُ على خدّيه . وسرعانَ ما احتضَنَني ملءَ ذراعيْه وراحَ يُجهشُ في البكاء . لم أستطعْ مواجهةَ الموقف . تملّصْتُ من بين ذراعيْه ورحتُ ألعقُ خثرات مرّة .... استدارَ أبي واتّجهَ نحو خزانة جدّي بحثاً عن ثيابه . تبعتُهُ مُتمهّلاً . فتّشَ قليلاً وسرعانَ ما ارتدَّ إلى الوراء، وتسمّرَ في مكانه كجذْع شجرة قديمة ... كان يحملُ في إحدى يديْه بعضَ ملابس جدّي الأنيقة، وفي اليد الأُخرى، كانَ يحملُ لوحةً عريضةً أخرجَها من خزانة جدّي . كُتبَ عليْها بخطٍّ عريض :

" بيتي ... وطني ... ليس مُعَدّاً للبيْع "

أغلال

• سمر المحمد

لم يعجبها ترتيب البيت ...وقهوة الصباح رديئة الطعم ..وأعمال كثيرة لم يتم إنجازها بعد ...هي تفاصيل كانت تتخذ منها العجوز ذريعةً ..لتنزل بعكازها على الجسد البض ..ضربات متلاحقة ..فيها من الكره ..ما فيها ..وحين تفلت العكاز من اليد الظالمة ..تسارع الكنة إلى التقاطها ..تعيدها إلى حماتها ..تقبل يدها ..وتفر إلى أي مكان تتقي به شر المرأة العجوز وتتفقد الكدمات الزرقاء على جسدها ..تبكي بحرقة وهي تتذكر كلام والدها: دعي الظالم لظلمه ..فلا بد من ساعة يقف فيها عاجزاً ..أمام تسويات الحياة! لكن الوقت كان يمر بطيئاً قبل أن تتحقق عدالة الحياة التي طال انتظارها .كانت حماتها تتدخل في شؤونها الصغيرة ..تقتحم غرفة نومها من دون استئذان ..تمتد يدها إلى خزانة الملابس تمزق أثواب النوم الخاصة بها ..يحرقها ظهور زوجة ابنها برداء شفاف ..تفقد عقلها حين تراها بذاك الأحمر المصنوع من الساتان ..تردد على مسامعها: بنات الأصول ..لا يليق بهن التشبه بالراقصات ..حتى أمام أزواجهن! مرّ العمر وهي تحاول إدخال الكراهية إلى قلب ابنها ..علّه ينفر من زوجته الصابرة ..لكن حباً عظيماً كان يكبر كل يوم في قلبه وهو يرى فيها جمالاً روحياً ما ملكته امرأة ..رغم محاولات أمه إنكاره والتقليل من شأنه وفي يوم جاءتها بالمرآة :انظري إلى وجهك الدميم. لو كان الأمر بيدي لزوجته أجمل فتيات المدينة .. لكنك تملئين زوايا البيت بالتمائم ..وسحر المشعوذين حتى عميَ بصره عن قبحك وبشاعتك .يوم حملت بولدها البكر ..ظنت بأن ذلك سيقربها من العجوز التي تنتظر حفيدها الأول ..لكن العجوز ازدادت قسوة وظلماً ..وراحت تكلفها بأعمال إضافية زادت من معاناتها وألمها ..مرّت سنوات بلغت فيها العجوز أرذل العمر ..أقعدها المرض ..وما عادت قادرة على الكلام ..كانت الكنة ترعاها كما لو أنها أمها ..فتبكي العجوز عمراً قضته في ظلم ابنة لها لم تنجبها من رحمها ..وفي ليلة قامت العجوز من فراشها قوية معافاة ..أمسكت بعكازها الآثمة ..وراحت تلهب جسد الكنة بضربات متلاحقة: صرت تأمرين وتنهين في هذا البيت ..تظنين بأنني ضعفت وانتهى أمري ..سأضربك حتى تموتين وأرتاح منك إلى الأبد .. راحت الكنة تصرخ صراخاً مؤلماً أيقظ أهل بيتها جميعاً ..أسرع الولد إلى أمه مستفسراً صرخت الكنة في وجه ابنها: جدتك تقيدني وتضربني كالمجنونة ..فك قيدي قبل أن يقتلني الألم .. فكّ قيدي قبل أن أموت ..يتعوذ الولد من الشيطان وهو ينظر إلى صورة جدته التي علقت على جدار الغرفة وقد أحاط بإحدى زواياها شريط أسود ..احتضن أمه وهو يؤكد لها بأن جدته فارقت الحياة منذ سنوات طويلة ..لكنه وقف عاجزاً أمام أغلال أبدية ..ما زالت تحيط بأمه ..وتقيدها.

قصتان قصيرتان جداً

• زهرة الكوسا

جشع

مزق صفير سيارات الإسعاف سكينة النارنج في الأبنية المجاورة للمشفى ..كما مزق أحلام الحمام في ساحة المسجد الأموي وفي فضاء قلعة دمشق الخالدة ،بعد الإنفجار الذي هز القصر العدلي في المدينة.

الناس يتراكضون لتفقد أحبتهم والتعرّف على بقاياهم ...عسى أن يجدوا بعض كلمات يابسة على شفاههم أو بعض دموع تحجرت في المآقي ، رسائل تذكار للحظة أعلن الموت عن بدء وليمته الكبرى .

بجانب الرصيف على بُعد أمتار من المشفى يعلو صوت شجار بين سائق تكسي وسيدة كانت تبكي بحرقة وخوف ..

اقتربت لتجدتها ...فتبين لي إن موكب الشهداء المهيب لم يشفع لها ضيق ذات اليد أمام جشع السائق !!!

أم صالح

وقع فنجان القهوة من يدي وأنا أسمع منادياً يقول: (الفاتحة إلى روح الحاجة أم صالح) ..

رحلت أخيراً وأخذت معها جدائلها البيض التي خبأت فيها لمسات أبو صالح الحنونة ، بعد استشهاده بحرب 67 .

أخذت دفئها من دمي وتركت أبوابي مشرعة للصقيع ، أنا الكبرت على حنوها بعد فقد أمي .

شيع الغرباء أم صالح وانتهى العزاء لحظة الدفن .

أُقفل بابها على ورود ساحة الدار التي سقتها من دموعها ما يكفي للبقاء بانتظار قدوم ابنها -الوريث- الوحيد (رجل الأعمال في دولة خليجية) .

كما أُقفل على عمرها المطعون وخذلان صالح الذي قدمها لأصدقائه ذات زيارة له هناك على أنها الوافدة الجديدة من المخيم لمساعدة زوجته في تربية الأولاد !!!

أيتها اللغة

• موفق نادر

يا
أيّتها اللغةُ
أيّتها الأنثى الموارِبةُ
والمعشوقةُ الغامضةُ
والحبيبةُ الواقفةُ
على شفا هاوية الوجد
أيتها النابضةُ بالهوى
والسافرةُ عن بياض اللوعة
السادرةُ في متاهات الغواية
الواضحةُ الغامضةُ
الشقيّةُ التقيّةُ
المفرودةُ في المدى
كذراع مبتورة
سلامٌ عليكِ
سلامٌ على حروفكِ المتفضّدة انتظاراً
وعلى حروفكِ الهادرة
كرعود الصيف
وعلى حروفكَ
الراشحة بعسل النشوة
على حروفكِ النابضة
والقابضة
الصحيحة
والمعتلة
الصائتة والصامتة
والمقتولة بدم بارد
عن ثاراتٍ لا تُعرفين عنها شيئاً
على حروفكِ المجنونة
والرعناء
والساقطة في حَرَ البيداء
سلامٌ عليك
سلامٌ على كلماتكِ
المثخنة بالأحاجي
على كلماتكِ
الراعفة بدماء الأخوة المتحاربين
الغائرة في بحار الغواية
وأنهار الشبق
وغدران اللهفة
على كلماتكِ
المنزوية في ظلمة المعاجم
والمهموسة في مخادع العشاق
كلماتكِ المطهوّة على عجَلٍ
في محافل الساسة البلهاء
والمهروسة
على دفاتر التعبير
لتلامذة الصفوف الاولى
والاخيرة
سلامٌ لكلماتكِ النيّئة
والحامضة
والمكتوبة بلُعاب الشرايين
على صخور الكهوف
الكلمات الموتورة
والمبتورة
والمحفورة في الألواح
بأظافر الأطفال المقلوعة
سلامٌ عليكِ
سلامٌ على جُملكِ
المنتظرة خلف أبواب المحاكم
وتحتَ شفرات المقاصل
وتحت أسرّة الخيانات الزّوجية
سلامٌ على جُملكِ
الحاملة نظريات الفيزياء
ورائحةَ الأحماض
وأوامرَ النفي والإعدام بالجُملة
على جُملكِ الحادية للجمال
في الصحراء
واللائبة على ألسنة النسوة
في الأعراس
جملكِ التي تنزف دماً
وأحياناً تصير زغاريدَ
وشتائمَ غيرَ مكتملة
جُملكِ التي يُنشئها الحرّاسُ الليليون
وباعةُ الألبسة المدعوكة
وما علق في أذهان الفَجر
مبيّضي أواني النحاس
العابرين
سلامٌ على جُملكِ
المكتوبة على أسوار السجون
والموشومة
على أذرعة المسافرين
خلفَ البحار
وتلك المحفوظة غيباً
في رؤوس المُخبرين الوسيمين
جُملكِ الفوّاحة بروائح
العَرَق والشهوة في الأعراس
والعَرَق والصديد
في قاعات التعذيب
سلام لجُملكِ
المنزوعة الدسم
والمنتوفة الحواجب
والواقفة على رجلٍ واحدة
في زوايا الصفوف
والمستلقية عاريةً
تتسفعُ بشمس الشواطئ البعيدة
سلامٌ
للجُمل المغسولة سهواً
في رسائل العشاق
المنقوشة على عجَل
على بيارق المحاربينَ الأُميّين
ايتها اللغةُ
يا حبيبتي النازفةَ الشرايين
تعالَي أسندْ رأسَكِ إلى صدري
وأتنفسك
نأمةً نأمةً
أضمّد دمَ حروفكِ النازفة في أعماقي
وإنْ لم أستطعْ
أنْ ألجمَ طوفانَ الدم الهادرَ
بين حناياك
ليس لي عندها
سوى أنْ أمسحَ جبينَكِ الوضاءَ
بقصائدي المكتوبة في العتمة
وأنا أهمس لك :
أيتها الحبيبةُ
سلامٌ لكِ
وسلامٌ عليكِ !!

مزامير لسيد الحلم

• مصطفى الصمودي

المزمور الأول
الزّمن المُرهَق أضناه العَدْو
تباطأ هَوْناً
كَهْرَبَهُ دولاب
الشمس الدوّار بنترون الضوء
ارتج انتقض ارتجّ
يُسابق وجه الريح
ويَعْدو .. يَعدو لا يتوقف حتى
تتوقف رئة الشمس
ويغدو الكون سديماً
××
المزمور العاشر
تشكيلٌ حَرَكيٌّ عيناي
على صهوة جورنيكا (1)
تتخطى سور الزّمكان
انْتَعل البحر الذي ابتلع الماء
أنايَ الأمْسُ
تُحاصرني الجهات الخمس
تنزّ صملاخ التشيُّؤ
تستهدف أكبريَّ (2)
يضيق الاتساع يُطوّق بي .. أو يكاد
فأرتدُّ هَوْناً لأحكم قفزة البدء
×××
المزمور المئة
هو العمر كرٌّ وفرٌّ
هو العمر مدٌّ وجزرٌ
عطاءٌ وأخذٌ
فإني بهَاء الذين عطاءً عطاءً
بغير انتهاء
وإني اشتعال بغير انطفاء
وإني ظهور بغير اختفاء
وإني الّتي في بؤرة الشرق نَسْياً
بل اللاّشيء أخذاً .. أكافأُ وخزاً ..
كأنني فقاعة في الهواء
المزمور الألف
لأنّك الصوت في وحشة الصمت
لأنك الماء في مهمه القحط
لأنك الرفض يا جالد السوط
لأنك الروح في لحظة الموت
لأنك البرق في لحظة الاشتعال
لأنك الفصل في لوعة الانفصال
لأنك السيل في غمرة الانفعال
لعينيك يا سيد الحلم أصبو ملاذاً
أجن اشتاقاً إليك
أذوب احتراقاً عليك
أطلت الكُمون يا سيّد الحلم
أراك في حندس الليل
وهجاً يضيءَ السماوات بالعدل
يرش المساواة .. الحنان كضمّة أمّي
يا الّذي أتوق إليك مُذْ لحظة الوعي
رَتَعْت في ساحة الفكر طيفاً
وفي قبضة الكف سيفاً
وفي بؤبؤ القلب رسماً
وفي مقلة الصّدغ وَشْماً
غايتي أنت يا سيد الحلم
وعذراً إن قلت ما بي لنفسي
فإنني أنت إذ يطول الغياب
×××
المزمور الأول بعد الألف
أجيد الغناء وحلقي يبوس
تعرّيت من ربقة التّرهات
تقمّصت شخص النبي
في يدي ياسمينة من ضياء
تغذّيت بالفكر .. تهذّبْتُ بالحب
تعمّدت بالطّيب بي نفحة من إله
جلجامش جديد
فكنت عليهم عصيّاً
وكنت عنهم قصياً
تنطّع اللاّعقون حتى النعالَ
من تحامتهم العشيرة من جُذام
الأباطيل
المُتقنون فنّ التّلوّن
الراسمون حسب الهوى
المُدّجون بالولائم والشتائم
والهزائم
سُوِّرْتَ يا سيد الحلم
حُوصِرْتَ بالتّسْميات السّخيفات منهم
حتى ملّت التسميات
أرهقتني راجمات الكلام
تودّ السقوط بيني وبيني
تَضَعْضَعْتُ قبل اكتمال الأوان
ولكنْ ما سقطَ كلّي شموخٌ
صامداً صافحاً كنت في إهاب المسيح
ألوك أسايا
أصير انعكاس انكسار المرايا
كأني سوايا
أطلت الكُمون يا سيد الحلم
انعتق من رَحم الكون
في هيأة الطّير آن المخاض
فلست (غودو) الذي لا يجيء (4)
سدرة المنتهى أنت
لأنك الفصل إذ تغيم الرّؤى
أناديك .. تعال آتخيكَ نُضِئْ معاً عمى الكون
ونشهدْ أن لا نصر إلاّ للحق سيد العالمين
المزمور العاشر بعد الألف
عجّل .. كي نوقف هذا النزف
عجّل .. كي نمنع بيع الوقف
عجل .. كي ننسف هذا النسف
عجل .. كي نُشعل بالحب وبالوهج النّورانيّ فتيل الحرف
عجل .. فالتيار الجارف كيفيّاً يتقدّم نحو الخلف !!!!!!

---

(1) الجورنيكا هي اللوحة الشهيرة للفنان بيكاسو.
(2) الأصغران = القلب واللسان والأكبران هما العقل والروح.
(3) كهف سرديس هو الكهف الذي تخيله أفلاطون في جمهوريته. الفاضلة وأن الساكنين فيه يرون ظلالهم فيتخيلها كل حسب تفكيره.
(4) غودو نسبة إلى مسرحية في انتظار غودو لصاموئيل بيكت.

حوارٌ مع أقحوانتي

• ميلينا مطانيوس عيسى

في الهزيع الأخير لأمنيتي
سأستكينُ في الفراش المشتاق
لمزج رائحتي في الغطاء؛
بالصوت والنعناع البري
سأهمسُ في الأذنِ الصامتة
لأجلي:
خذيني يا غصنَ المحبة
داعبيني يا قطعةَ الثلج والنار
أرسلي الربَّ في طلبي
كلما أردت
لا تدعي القبلةَ تندثر
فوسادتي أوشكتْ على الهذيان
.....
هل لي أنْ أسألَ
البابُ كيف أُقْفلُ
النافذةُ..الطاولةُ
والغرفةُ
لمْ رحلتْ؟
هل ترغبين بالخبز والحليب
أرغبُ بك
باحتضانَ النعاس للرضاب
واللمسةَ والهمس الأنثويَّ
المُقيّد
.....
جونو
يا حقيبةَ سفري المهاجرةَ
يا ربّةَ البار والمعبد
لا تدعيني رهنَ الاعتقال
أسعفي الطفولةَ المتبقيةَ
في بنفسج يناعتي
في رجولتي المحبطة
بانتظار طويل
لشكوى رفعتها يوماً
لإلهي
أرفقتها بألف توقيع
من ألف نبيٍّ وقديسٍ
مع حزنها المتساقطَ فوق
زهوري المبعثرة كتبتُ:
يا سنونو
أنا الأميرُ الحزينُ
يا سنونو
أنا الأميرُ الذي لم يعدْ
سعيداً
آه لكم أحببتُك
آه لكم أحببتُكَ
.....
لا أستطيعُ النومَ
أخافُ أن يسرقوا رُفاتَكِ
إنْ أنا غفوتُ
أنْ يمزّقوا جسدَكِ الطاهرَ
إنْ أنا متُّ
ويقتلوا عشقَنا ومنزلَنا
إنْ أنا رحلتُ إلى اللحدِ المرسوم
في إطار قضيتي
وتابعتُ طريقي إلى رحمكِ
المنتحب فوق عشبِ قلبي
الكافرِ
.....
أيتها العاصفةُ الّتي اجتاحتْ
كياني من الجذورِ
وحولتْ جرأتي إلى فستانٍ
أحمرَ جميلٍ
أحبّيني
عانقي الرجلَ المُضرّجَ
بالنهد
والحلم والبكاء
استمري في الهدهدةِ
إنّي يا صغيرتي
لا أريدُ الاستيقاظَ
أريدُ فقط أنْ أحبُّكِ
أريدُ فقط أنْ أحبُّكِ

حريق البيادر

•محمد إبراهيم العلي

الهواء يكنس الأوراق المتساقطة على الأرض، ويجمعها بجانب جدار الدور، وصوتها مع حركة الريح يبعث في النفس كثيرا من الإعجاب والأمل، كم هو جميلٍ منظر تلك الأوراق التي تلوذ إلى الهدوء، خوفا من شوك الدردار، المنشور في كل مكان، وهربا من الريح العاتية.

وما أصعبَ السبر على حفاة الأقدام في هذا الوقت، لأن شوك السلبيين والشردار كالأبر، ويا ويل الأرجل إذا لم يكن سطح القدم كنعل الحذاء.

كانت ليلة ساكنة من ليالي تموز، وقد هدأت الريح فيها، درجة الحرارة تقترب من الثلاثين، قالت والدتي، وهي جالسة على السطح وتشاهد منه بيادر القرية الواقعة على بعد بضعة مئات من الأمتار شائحة بنظرها في الأفق البعيد، باتجاه جبل زين العابدين.. يا زين العابدين أرسل إلينا نسمة هواء، ياإلهي قليلا من النسيم نكاد نحترقِ.

كان الكلب «جابون» قابعا عند باب الدار كالحارس الأمين، متأهباً ضد أي غريب يعبر أمام الدار، وهو يعرف سكان القرية جميعا، رأسه مرفوع ويلهب من شدة الحر، ينتقل أحيانا من يمين الباب إلى يساره، وبالعكس ثم يدخل الدار وكأنه يتفقد عدد النعجات والعنزات التي خلدت إلى الراحة من عناء يوم مع الراعي، عدا تيس كبير يشمشم بعضها وينتقل من واحدة إلى أخرى، زاعجا بذلك الجميع، أما الكبش فقد استراح وأخلد للهدوء، كانت النجوم تلمع في تلك الليلةِ، ويزداد لمعانها وبريقها كلما أمعنا النظر بها وطال تحديقنا فيها، وكنت أحيانا أعد النجوم بأصبعي فتقول والدتي: إياك أن تشير إلى النجوم فيه يصيبك مرض الثالول ويقصر عمرك، ألم تسمع ذلك من الشيخ عبد القادر الذي يعلمكَ القرآن (من يعد النجوم يصاب بالهموم)، ثم قطعت حديثها فجأة وقالت: وصل والدك، هذا هو دخل الدار، لكنها اكتشفت أنه خالي وليس والدي.

وبصوت جهوري نادى على والدتي، «فطيم إنني جائع، إبراهيم بالأرض الغربية، وقد يتأخر، ماذا عندك للأكل، اليوم نتابع الرجاد ليلا ونهارا، هكذا يرغب الحجي والبيك.

خلال يومين يجب أن ننتهي، أعطني طاسة ماء لأشربها من عندك، ناوليني إياها، هل يوجد لديك متبله باردة.؟ فردت عليه والدتي، اصعد هناك تحت المكبة على المصطبة يوجد الخبز، وفي القلبة توجد بقايا متبله، كل منها، وبجانبك جرة الماء اشرب قد تكون أبرد من الصفيحة المملوءة.

أقفل باب الدار، وبعد أن تأكل اصعد وارتاح قليلا، قال أخي: سآكل الآن بسرعة، وعلي أن أذهب إلى البيادر، حيث تركت العربة، والخيول ما زالت مشدودة عليها وسآخذ معي عدة أرغفة وبصل وقربة ماء إلى إبراهيم في الحقل، اسمعي وحتى أتناول لقمتي انزلي واملئي القربةِ ماء من الجرة، وضعي الخبز والبصل في الكيس، هل يوجد تمر؟ إذا كان موجودا ضعي شيئا منه مع البصل.

فأجابته والدتي بصوت هادئ.. «أخي، ألا تسمع الصغيربيكي؟ وإنه لا يسكت الآن وقد أصابه الرمد، إنني لا أسمعك من نباح الكلاب التي تقف على المزبلة.. آه ولماذا تنبح؟ قال: «قد تكون هناك رجل غريبة تعبر. لابد من التأكد» وخرج من الباب جادا خطاه، وعصاه بيده، حتى وصل إلى ظهرِ المزبلة، فشاهد رجلا يقترب وما أن تأكد منه حتى عاد قائلا «إنه العس» راكبا على فرس مر من أمام الدار، اسمعي فطيم، هل ملأت القربة ماء.؟ ألا توجد متبلة تبرد جوفي، أين التمر؟

وردت عليه ثانية ألم تسمع بكاء الطفل، ولا أستطيع النزول من السطح وتركه خذ ما تريد واملأ القربة من الخابية إياك أن تكب الماء فأنا لا أحصل على الصفيحة إلا بشق النفس، وتمتم قائلا بسيطة ابق عند طفلك.

وتدخلت أم سليمان الجارة في الحديث سائلة يوسفَ إذا كان زوجها سيحضر من الحقل، فقال لها: لا أدري ومن الممكن أن يبقى في الحقل هذه الليلة، فرجته أم سليمان أن يأخذ له معه العشاء وجرة ماء فأجاب «سآخذ فقط الخبز والتمر وإذا احتاج ماء سنسقيه من قربتنا حيث لا يوجد أحد في عربتي يمسك الجرة، والطريق وعرة جدا، هاتي ما عندك فورا سأمشي، وقطع حديثهم فجأة صوت قوي آت من البيادر القريبة كان يشتم ويكيل السباب.

فقالَ يوسف: من الذي يصيح على البيادر؟ فأجابته فطيم: قد يكون الوكيل الرذيل يشتم أحد الفلاحين، أو يضربه وقد علا صوته، لعنة الله عليه، لا يسلم من شره فلاح لا في الليل ولا في النهار لسانه طويل وقذر.

أعطت أم سليمان صرة من الخبز إلى فطيم لتناولها إلى أخيها الذي أخذها من أخته وكان يقف على المصطبة، وأردف قائلا: فطيم ألا ترين العجل غير مربوط في الدار. وقد يدوس على آلية النعجات فيسبب لها الأذى، انزلي واربطيه.

وفي هذه الأثناء سمع إطلاق نار مصدره البيادر فالتفت يوسف إلى أخته التي ما زالت على السطح تهدهد طفلها المريض، وقال عساه خيرا، إنه صوت بندقية حربية ولم يكد ينهي كلمته حتى سمع الوكيل يصيح بأعلى صوته.. النار في البيادر، النار في البيادر، وكانت الطلقة إنذارا.

يا لطيف السترة يا رب، النار تندلع حقا من أحد البيادر، وصرخ يوسف بملء صوته، الدواب على البيدر مع العربة ورمى صرة الخبز عند باب الدار وعلق قربة الماء على الباب وأخذ يعدو بكل قوته باتجاه البيادر، وهجم كلب على الخبز وأخذ رغيفا من الصرة وهجم آخر محاولا انتزاعه منه وحدثت مشادة بين الكلبين من أجل الرغيف بينما أخذ كلب ثالث رغيفا دون عناء، وأقعى يقضمه والعراك مستمر بين الكلبين من أجل الخبز.

صراخ الوكيل يملأ أرجاء البيادر وهرع الفلاحون حاملين صفائح الماء، وفطيم حزمت صغيرها في جلبابها وأخذت صفيحة فارغة ولحقتها أم سليمان وكذلك عدد آخر من النسوة، وخلفهم هرع الأطفال الصغار، جميعهم جروا حفاة إلى أمام قصر البيك حيث وصل السقا مسرعا لرفع المياه واصطفت النسوة بسرعتة كل تملأ صفيحة وتحملها على رأسها وتتجه إلى البيدر الذي يبعد قرابة مئة متر من البير.

إنه بيدر واحد يحترق بين مجموعة كبيرة من البيادر، وصرخ الوكيل بالرجال إلى الرفوش والمعاول طوقوا البيادر، وهرع العس إلى فرسه إلى الدخول إلى الزريبة وأطلق عدة عيارات نارية منذرا بذلك الفلاحين من الحقول المجاورة، والذين سارعوا بدورهم - حالما شاهدوا وهج النار إلى مكان البيدر المحترق، يريدون المساعدة والمشاركة في إطفائه، وما هي إلا دقائق حتى تكاثر الرجال.

وصبية القرية تجمعوا أمام قصر البيك على تلة صغيرة، كان البيك يجلس عليها عادة، عندما ترقص نوفه النورية في ساحة القرية، ويصطف حولها الفلاحون، ووقف إلى جانب التلة الشيخ عبد القادر، وهو يصرخ الله أكبر، الله أكبر. ويتجول من أول الساحة إلى آخرها وهو يصيح أطفئوا النار، الله أكبر، والشيخ عبد القادر هو الذي كان يعلمنا قراءة القرآن وأصول التجويد، وكم مرة عدت إلى البيت ويداي منتفختان من جراء قضيب الرمان الذي كان بحوزته أثناء التدريس عندما ألحن في قراءة القرآن أو حين لا أفرق بين إدغام بغنة أو إقلاب.

أما نسوة القرية فكن كالآلةِ ينقلن الماء بعزيمة لا تلين، ويتمتمن يا رب يا الله أخمد الهواء، وكن يعلمن تماما إذا ما احترقت البيادر كلها ويحتجن إلى رغيف الخبز ولن يحصلن عليه من الحجي، الذي سلف الفلاحين على السنة المقبلة ومقره الخان بالمحافظة.

يا رب السترة، وتحمسهم أم سليمان أسرعوا يا إخواني يا الله يا فطيم يا الله يا مريم، استعجلوا بنقل الماء شدوا العزائم يا فلاحين وإلا تشردنا وجعنا وكلكم يعرف الحجي، إن الله معنا وقد خمد الهواء.

كان وهج النار قويا وكانت القرية مضاءة وكأن الشمس قد سقطت عليها، وانعكس اللون الأحمر القاني على كل الأشياء، كل وجوه الأطفال المتجمعين بدت بلون واحد، ولم تكن هذِه الوجوه في الحالة الاعتيادية كذلك، وحركة الشيخ عبد القادر يمينا ويسارا من طرف التلة إلى طرفها الآخر وتكبيراته أمام الأطفال كانت تضفي على هذا الجو المخيف رهبة غريبة زادت من تجهم وجوه الأطفال وفزعهم، واستغرابهم من حركة الفلاحين ومن الحريق لكن الجميع كأنهم أعطوا أمرا بعدم الحركة، ونهرهم الشيخ عبد القادر قائلا لهم: لماذا أنتم هنا، ألم تعرفوا أن حيات البيادر ستهرب الآن من الحريق وتأتي إلى هنا، وتلدغكم، اهربوا الحيات قادمة.

وصرخ الأطفال: حية قادمة، وهم لا يشاهدون شيئاً، وهربوا إلى ساحة قريبة من التلة ولكن الأرض كانت مضاءة من توهج النار، فكل شيء يدب أو يتحرك كان يشاهد بشكل واضح، وقف الأطفال ثانية فتجمعوا وعرفوا أن الشيخ عبد القادر يخدعهم، ولكن كلمة الحيات قادمة، وصلت إلى مسامع النساء من الأطفال المتراكضين وأصاب النساء الذعر، إذ أنهن ينقلن الماء حافيات إلى البيدر الذي يحترق وقد تلدغهن أية حية هاربة من البيدر، وانتقلت الإشاعةِ إلى الرجال، توجد حية في البيدر وبالفعل فلقد لدغت الأيام خلت حية فلاحا في قرية مجاورة وتوفي بعدها فورا، حدثِ ذعر شديد بين الرجال والنساء وصرخت فطيم بصوت قوي، قد نموت جوعا إذا لم نطفئ الحريق لا تخافوا كل إنسان يموت في يومه ورجل طاعن في السن آخر كان يحفر ويبث الحماس في الفلاحين قال:

يا الله يا أولادي دقائق وتخمد النار، راقبوا البيادر المجاورة، يجب أن تطفأ كل شرارة تهرب من هنا، ثم شدد كلمات لا تخافِوا من أي شيء لا توجد ولا حية على البيدر إطلاقا، لقد وجد البيدر حديثا أسرعوا بالحفر رشوا التراب بقوة على اللهب، ورشوا الماء على التراب المحيط بالبيدر، لا تخشوا شيئا نحن نقاوم النار وسنخمدها وهل تخافون من حية عابرة، وأقسم لكم أنه لا توجد ولا حية في هذا البيدر أما الفئران فقد غارت في حجورها، وهل تخيفنا الفئران وبيوتنا مليئة بها.

استمرت مكافحة النار عدة ساعات وهربت الحيوانات من البيادر خوفاً وجزعا كنت تسمع عواء الكلاب، على كلاب القرية مضطربة وكذلك كل حيواناتها إذ أنها لم تألف المنظر الذي راعها في هذا الليل الهادئ الساكن، وهربت فرس الوكيل ودخلت القصر وكادت تدوس أحد الأطفال المتجمعين أمامه، كان البقر يخور في الدور، وكذلك الغنم، والماعز، واختلطت أصواتها باستغاثة النساء والرجال، بعد برهة من الزمن، وبعد صراع كبير مع النار، تغلب الفلاحون على الحريق، وتجمعوا كلهم أمام قصر البيك على الرابية في سكون الليل، والإعياء باد على وجوه الجميع، وخيمت غيمة من الدخان فوق القرية حجبت النجوم ونهَر المجرة على الأنظار، كان ليلا أسود هدأ فيه كل شيء في تلك اللحظة وقطع هذا السكون والوجوم صوت الشيخ عبد القادر بصوته الجهوري أن الله ساعدنا بإطفاء الحريق وقد كبرت وهللت فاستجاب الله دعوتي ولم تتحرك أية نسمة هواء، وأضاف بعد فترة سكوت، ولكن ما هو رأي الوكيل، وغدا سيحضر البيك والحجي من أجل التحقيق لمعرفة الفاعل، ومن أشعل سيجارة على البيادر، وفي قناعتي أن الذين يدخنون هم المسؤولون، ويوسف يدخن كثيرا، وقد يكون قد وقع عقب من سيجارته المشتعلة فكادت تأتي على البيادر كلها، ولولا دعواتي واستجابة الله، كان يتكلم وكأنه يحقق مع الفلاحين، وتابع قائلا، ولكن ما هو رأي الوكيل، فأجابه، حتى الغد فرج ورحمة «وعلى الجميع أن ينصرفوا الآن وسأخبر البيك غدا وهو صاحب القول الفصل، ولكن حتى لا نظلم أحدا سوف نعاتب كل الذين يدخنون من الفلاحين وبذلك يكون العقاب قد أصاب الذي حرق البيدر، هذا رأيي أيها الشيخ.

وأردف الشيخ قائلا: هذا رأي معقول وقال رسول الله، الناس سواسية كأسنان المشط بالعقوبة والرحمة، يقول الوكيل غدا سيصل سعادة البيك وله القول الفصل.

كان طفل فطيم يزعق في جلبابها وهي تهمس له أن يخلد إلى الراحة ثم التفتت إلى أم سليمان هامسة في أذنها اسمعي الشيخ يحاول أن يورط أخي في حريق البيدر وأخي كان في الدار وأنت شاهدت ذلك، والشيخ يكرهنا كثيرا لأننا لا نرسل له بيضا ولا جليبا ولو قلعت عيناه سوف لا نرسل له شيئا وصرخ الوكيل بالفلاحين اذهبوا كلا إلى عمله، لكن الفلاحين اجتمعوا ثانية حول البيدر المحروق، وحفروا كثيرا ورشوا مزيدا من المياه عليه، أما الوكيل والشيخ فقد ذهبا مع زنوبة وجلسا أمام بيتها يحتسون الشاي ثانية والذي أعدته لهم فورا في بيتها هذه المرة، وقال الشيخ لعنة الله على دناوة النفس، من أجل كاس شاي كادت البيادر تحترق يا صديقي الوكيل، واتفق الثلاثة على أن يتهم المدخنون بذلك وهم كثرة.

عندما أشرقت الشمس كانت غمامة سوداء من الدخان تغطي منطقة القرية وقد سقط بعض الهباب على دور القرية وبيوتها، وكان لابد من حملة تنظيف من الهباب الذي أصاب الفرش الموجودة على الأسطحة، كما لابد من غسيل الأغنام التي علق بصوفها الهباب، هذا ومياه القرية شحيحة خرج الفلاحون من معركة قاسية منتصرين عليها، كانت هناك إشاعات كثيرة وتجمع الفلاحون ضد المختار وحضر الوكيل والشيخ عبد القادر وذلك ليتفقوا ماذا يقولون للبيك الذي سيحضر بعد قليل من الوقت.

قال المختار من كان يدخن على البيادر؟ ولماذا تدخنون؟ ألم نقل كثيراً ممنوع التدخين في الحقل وعلى البيادر؟ وأردف الوكيل الناس يتعلمون من حسابهم، لولا احترقت كل البيادر ومتم جوعا لعرفتم كيف تنفذون؟ ممنوع التدخين، وتابع الحديث الشيخ عبد القادر - ألم أقل أن الدخان حرام؟ كم مرة شاهدت يوسف يدخن عند داره، ثم أشار بإصبعه إلى يوسف الجالس على الأرض، انظروا الآن يدخن أمامنا ونحن هنا، فكيف إذا كان وحده، إنه لا يستطيع أن يملك إرادة قوية عندما يكون وحده ويدخن أكثر.

رد يوسف وهل ممنوع التدخين في مضافة القرية، أنا أعرف جيداً ممنوع التدخين على البيادر وفي الحقل ولكن عندما وقع الحريق لم أكن على البيادر، وقاطعه الشيخ قائلا وهل لديك إثبات أنك لم تكن على البيدر وكانت داوبك وعربتك على البيدر لحظة اشتعال النار، من يدر أين كنت تدخن؟ ومع ذلك أنا لا أتهم أحدا، ولا أضع الناس بذمتي ولكن المؤكد أنه نار سيكارة بدأ الحريق، والله يعلم من هو الفاعل:

قال الوكيل إذنِ من؟ هل وصلت النار من السماء؟ يجب أن نتفق ماذا نقول للبيك قضاءً وقدرا وقع الحادث ولكن البيك لا يقبل بذلك؟ لابد من أن نتفق والتفت إلى المختار وقال مالك لا تتكلم.

وأجاب المختار، شيء يحيرني، حريق هذا البيدر ولا أريد أن أتهم أحداً، رأيي أن يتحمل هذه المصيبة المدخنون للسكاير بالدرجة الأولى، وكامل أهل القرية تتحمل هذه المصيبة أمام البيك، وقطعا البيك لا يقبل بأعذار فلابد من تلافي المصيبة ولكل حادث حديث، وجرت همهمة بين الجالسين.

سمع صوت السيارة البيك دخل دار القصر وهرع الوكيل والمختار إليه وتبعهم الشيخ بعد أن قال للفلاحين سوف أبذل جهدي لتلافي غضبه وعليكم كلكم أن تشكروا لي هذا الفضل حيث ترتكبون الأخطاء ومن واجبي أن أجد لها حلا يرضي الله وضميري ويحمي جلودكم من كرباج البيك، أنا لاحق بالمختار والوكيل إلى القصر، وهرول مسرعا باتجاه القصر وجبته تلوح خلفه وهو ينادي يا الله اللطف، وارحم عبادك الصالحين، ومر بساحة القرية وكانت تقف زنوبة متبديا عليها الإرباك فقال صباح الخير زنوبة بصوت منخفض ادخلي دارك ولا تخرجي لكل شيء حل وأنت بأمان تابع طريقه مسرعا إلى القصر.

وقفت سيارة البيك وأمر السايس بأن يسرج له أحد خيوله فورا: ثم ركبها ونزل إلى البيادر ودار حول البيدر المحروق،وكان قد لحق به الوكيل والشيخ، وألقى نظره عليه ثم عادوا إلى القصر ولم يقل إلا كلمة واحدة؟ «عرصات كلاب أنتم» ووجه هذه الكلمات إلى الوكيل والمختار والشيخ وكان موقف الثلاثة عصيبا، ثم أردف البيك اتبعوني إلى القصر وعاد على فرسه، وخرج إلى بكلونه وطلب نرجيلة، ثم عدل عنها وأخذ يدخن سيكارة وهو واقف ينظر إلى البيادر وما أن هدأ حتى التفت إلى الوكيل وقال كيف جرى الحريق؟ ومن الفاعل؟ وفي أي وقت؟ وعليكم أنتم الثلاثة تقع المسؤولية بالدرجة الأولى، يجب أن أعرف كل فلاح أين كان موجودا، وكل امرأة وكل طفل في تلك اللحظة.

وشرح له الوكيل أوضاع الفلاحين وكان تواجدهم، وأنه يعتقد بأن أحد المدخنين المخالفين رمى عقب سيارة مشتعلة على طرف البيدر فأدت إلى الحريق.

وأردف الشيخ قائلا كم نصحت يا سيدي الفلاحين بعدم التدخين على البيادر وفي الحقول ومع ذلك فإنهم يدخنون، وقال المختار الحمد لله مصيبة بيدر واحد كادت تأتي على كل البيادر.

قال الشيخ الله رؤوف بعباده وهو أرحم الراحمين، وقطع ثرثرتهم البيك قائلا: اجمعوا - الفلاحين ثم قال انتظر قليلا، اسمعوا لا يمكن أن أضرب الفلاحين جملة إذن سأضرب قليلا منهم، اضرب الوكيل والمختار، كما سأفرض ضريبة على كل فلاح من القمح تجمع بقدر الكمية المحروقة وسأعطي الوكيل شوال قمح منها وكذلك المختار والشيخ.

اجمعوا القرية أمام الدار وقد اتفقنا وتجمع الفلاحون أمام باب القصر وكأن على رؤوسهم الطير ولا كلمة ووقف الوكيل والمختار والشيخ، وقال الشيخ الموقف صعب والبيك غاضب، وخاصة على المدخنين فلقد بذلت جهدي للتخفيف من غضبه.

ونزل البيك وهو يرتدي لباس الفروسية وبيده كرباجه ووقف ولم يتكلم وهو يتفحصهم بنظراته وجميعهم مطرقين نحو الأرض عدا لمحات خاطفةٍ من عيونهم يترقبون ما الذي سيفعله، وقطع الصمت البيك بصوت قوي قائلا: (المختار الكلب والوكيل الحقير) أين كنتما وأنتما نائمان حتى تحترق البيادر وأنتما تثرثران عند النسوان، ثم التفت إلى الفلاحين قائلا كنت أتمنى أن يحرق المحصول بأكمله حتى تموتوا جوعا، الحجي لن يقرضكم شيئا مما بالكم، وانفجر صائحا أنتم كالكلاب الحقيرة وضرب المختار بكرباجه ولطم الوكيل بكفه.

وتدخل الشيخ متوسلا بالرحمة :للجميع يا سيدي هذه مصيبتنا وكما تأمر أن البيدر يقدر بأربعين شوالا من القمح عدا التبن والفلاحون يتوازعون فيما بينهم وتعتبر المصيبة على الجميع.

ثم قال البيك نوزع هذه التقديرات على كل فدان وصاحب البيدر المحروق يجب أن أدوس على رقبته جزاء لإهماله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لكن جزاء لصاحب البيدر أن نقدم له نصف الكمية فقط.

ويعود الربع لي والربع الآخر يوزع على الفقراء والمشايخ حسنة لله، حيث الله اكتفى بمعاقبتكم ببيدر واحد، انقلعوا من أمامي لعنة الله عليكم.

ثم ذهب إلى سيارته وانصرف الفلاحون إلى أعمالهم، ذهب الشيخ حيث جلس مع الوكيل أمام (زنوبة) يشربان الشاي وقالا لها خرجناها برأس المدخنين ووزعت المصيبة على الجماعة والحمل على الجماعة خفيف.

قواعد جديدة في اللعبة القديمة

• إياس الخطيب

لطالما كان الشرق الأوسط ساحة المواجهة الجيوسياسية بين القوى العالمية والإقليمية الرائدة. ومع ذلك، اليوم في ما يسمى "القضية السورية"، في الواقع، هناك موقفان يواجهان كيف يجب أن يكون النظام العالمي في القرن الواحد والعشرين.

ليس سراً أنه منذ التسعينات من القرن العشرين، عززت الدول الغربية بنشاط نظامها العالمي. إذا رفضنا الأطروحات على القيم الإنسانية والحرية التي تزينها، فإن هذا النظام هو في الواقع هرم، وفي مقدمته البلدان الأكثر تطوراً من الناحية التكنولوجية والاقتصادية والعسكرية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة وأوروبا الغربية. في نفس الوقت، تم تفسير التطور التكنولوجي على أنه دليل على مزايا "الحضارة الغربية"؛ المؤسسات السياسية والقيم الثقافية وطريقة الحياة.

يجب أن يتم تشكيل الجزء الأوسط من الهرم من قبل الدول التابعة المعنية في مجال النفوذ المالي والاقتصادي للحضارة الغربية. أما الطابق الأرضي تم تخصيصه لـ"مخازن الموارد"، في الأساس - البلدان الأفريقية.

بطبيعة الحال، في مثل هذا "النظام العالمي"، فإنه يتم تجاهل المصالح الوطنية لدولتي الدرجة الثانية والثالثة من قبل قمة الهرم. والدول على المستوى الفردي، التي حاولت بطريقة ما تحديد مصالحها الوطنية، فإن "العالم المتحضر" قد سارع بأكمله إلى الإعلان بأنها "أنظمة ديكتاتورية" رجعية. وقد تم قمع هذه المحاولات بسرعة وبلا رحمة إما عن طريق غزو عسكري مباشر أو عن طريق خنق الاقتصاد بفرض عقوبات. السبب يمكن أن يكون أي شيء، وإذا لم يكن هناك أي سبب، فقد يتم إنشاؤه (يكفي استدعاء الأنبوب ذي المسحوق الأبيض، المستخدم لتبرير غزو العراق).

بدا هذا الأمر غير قابل للكسر حتى حاولت الدول متوسطة المستوى من الهرم تغيير الوضع. مع مرور الوقت ، تغير الوضع. بدأت دول البريكس تحدد اهتماماتها ومصالحها. نمت تركيا وإيران بنشاط في الشرق الأوسط. في البداية، حاولوا "إعادتهم إلى أماكنهم" عن طريق حملات العلاقات العامة الضخمة ، ثم جاءت قضية العقوبات. وخير مثال على هذا النوع هو إيران التي أوفت بجميع متطلبات الوكالة الدولية للطاقة الذرية وقلصت برنامجها النووي. ومع ذلك ، هذا لم ينقذها من جزء جديد من المطالبات من الولايات المتحدة.

في تركيا، جرت محاولة لتوجيه الانقلاب، الذي كان قد ناقشه وبكل سرور "العالم الغربي المتحضر" برمته. قل، من أجل "نظام أردوغان السلطوي،" هذا ينبغي أن يكون بمثابة تحذير.

على روسيا، التي دافعت بقوة أكثر من غيرها عن مصالحها، تم فرض حزمة واسعة من العقوبات.

في هذه الظروف، أصبحت سوريا ساحة اختبار، حيث اصطدمت مصالح اللاعبين العالميين والإقليميين علانية: الولايات المتحدة وبريطانيا ودول الاتحاد الأوروبي التي تدعمها، من جهة، إيران وروسيا من جهة أخرى. هنا، في جوهرها، ستقرر مسألة ما سيكون عليه العالم في القرن الحادي والعشرين: إما إن القوى الغربية ستكون قادرة على فرض كل شيء على العالم - الهرم، أو مسألة تشكيل مؤسسات دولية وآليات جديدة لضمان الأمن سوف تثار.

أصبحت هذه المشكلة حادة بشكل خاص بعد أن حققت إيران وروسيا نتائج عملية ملحوظة في تسوية النزاع السوري. إذا تمكنوا من حل القضية بشكل نهائي، فسوف يتم إنشاء سابقة من شأنها أن تقلل من قيمة مطالبات التحالف الغربي لدور الضامن الوحيد للسلام والاستقرار.

علاوة على ذلك، وعلى النقيض من النموذج الغربي لتوازن المصالح الذي يهدف إلى ترسيخ الوضع المهيمن على الشرق الأوسط من الدول الغربية، سيتم تشكيل صيغة بديلة للشراكة المتساوية لجميع الدول المعنية. مثل هذه التسوية للصراع السوري تعني ظهور قواعد جديدة تأخذ بعين الاعتبار النظام العالمي ككل.

إدراكاً لذلك، تحاول الولايات المتحدة تدمير التحالف الإيراني الروسي بكل قوتها. في هذا السياق، يتم طرح مسألة مراجعة شروط "الصفقة النووية" الإيرانية. في وقت ما ، أدت العقوبات الإجمالية التي فرضتها الولايات المتحدة إلى إضعاف نفوذ إيران في الشرق الأوسط.

الآن يستخدم نظام مماثل بالنسبة لروسيا. بسبب العقوبات، يعاني الاقتصاد الروسي من صعوبات هائلة.

تشارك إسرائيل بنشاط في "المسألة السورية" من قبل مواقف مؤيدة للولايات المتحدة. وكما تم الاتفاق مع واشنطن، تُجري تل أبيب عمليات عسكرية ضد القوات المدعومة إيرانياً في سوريا. ومن خلال ذلك يجب أن تُظهر هذه الهجمات الدورية من قبل سلاح الجو الإسرائيلي لطهران رد الفعل الروسي المتحلي بضبط النفس، لكي تلعب على وتر إضعاف التحالف الروسي الإيراني.

ستتم ممارسة الضغط المباشر على إيران وروسيا من قبل التحالف الغربي، كما أن أية محاولة تركية للتقارب من الحلف الروسي الإيراني إن أرادت تركيا التقارب أصلاً فإنه كذلك سيواجه بضغط غربي. "كالضغوط الدبلوماسية على أقل تقدير". نستدل على ذلك، من بيان مساعد وزيرة الخارجية الأميركية ، ويس ميتشل، بأن أنقرة يمكن أن تتعرض لعقوبات بعد شراء نظام الدفاع الجوي S-400.

من ناحية أخرى، يتم إنشاء قنوات اتصال مغلقة مع الجماعات المسلحة من الأكراد من خلال شركاء الناتو. ومن المرجح أيضا أن يتم تنفيذ محاولة جديدة للانقلاب من خلال طلب أمريكي سري إلى تركيا.

وتستهدف "مجموعة السادة" المذكورة أعلاه في نهاية المطاف العودة الكاملة لتركيا إلى مدار نفوذ واشنطن.

ما الذي يبقى في النهاية في حال نجاح كل هذه اللعبة؟

تحصل الولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد الأوروبي وإسرائيل على مركز مهيمن في الشرق الأوسط. وستكون مصالح القوى العربية خاضعة تماماً لـ "التحالف الغربي". إيران - "مدفوعة في القفص". لن تتمكن روسيا من التعالي من العقوبات، وستضطر إلى إضعاف مكانتها في المنطقة.

في مثل هذه الظروف، لن تكون تركيا قادرة على مقاومة الضغط الأمريكي. كما أنه سيضيف فوائد اقتصادية واضحة: رفضها التعاون مع روسيا، سيجعل الولايات المتحدة موردًا احتكاريًا للغاز الطبيعي المسال (LNG) إلى أوروبا.

سيكون العمل النهائي هو استبدال ر. أردوغان بشخصية أقل استقلالية.

ونتيجة لذلك، سيتم إنشاء النظام العالمي المعياري في الشرق الأوسط بدقة وبشكل كامل.

في حالة فشل اللعبة الأنجلو أمريكية ، السؤال سيكون عن الشكل الجديد لعلاقات الولايات المتحدة في مناطق أخرى من العالم. على سبيل المثال، في مجال المصالح الجيوسياسية في الهند والصين.

انتهى التاريخ كمنافسة من النظم الاجتماعية البديلة والمشاريع الحضارية. وتم استبدالها بقصة جديدة مع الحروب المختلطة والتظاهر الصريح بـ "حق الأقوياء". ولعل هذا الأمر نوعا من الحتمية التاريخية. إنه لأمر مأساوي، أن من بين "الخاسرين" مرة أخرى من الممكن أن يكون الشرق الأوسط بأكمله.

الإنسان يدفع خطيئة وجوده!

•حنا عبود

كانت الثورات في القرن التاسع عشر دائماً ضد الأنظمة الأوروبية، في القارة أو الجزيرة أو المستعمرات. وظلت كذلك في القرن العشرين، مع ثورات في أفريقيا، وثورات في أمريكا اللاتينية ضد الولايات المتحدة. أما في القرن الحادي والعشرين، فقد تغيّرت الأمور، وصارت الثورات تتجه كلها ضد الولايات المتحدة الأمريكية، على الأقل حسب شعاراتها المعلنة. فمنذ العام الأول من هذا القرن أعلنت الإدارة الأمريكية حالة الطوارئ لحفظ الأمن القومي الأمريكي. وهذا ما جعلها تشن الحرب على نظام يعتبر الأبعد جغرافياً عن بلادها، لضمان وجودها. وقد اندلعت ثورات وأعمال عنف في كثير من بلدان الشرق وأمريكا اللاتينية، كلها ضد عدو واحد هو الولايات الأمريكية فقط. الثورة اليوم لم تعد ضد إنكلترا أو فرنسا أو البرتغال أو إسبانيا... إن لها عدواً واحداً هو أمريكا.

ما طبيعة هذه الثورة المنتشرة في كثير من الأقطار؟ سيجيب اليساري بأنها ثورات ضد الإمبريالية والرأسمالية، وسيجيب المتدين بأنها ضد اضطهاد المسلمين. وسيجيب اليميني بأنها ثورات محلية دافعها الجهل والتعصب الديني، وستجيب الدول الثماني الغنية بأنها ضد نظام العولمة الجديد... وهكذا يمكن أن نجد الكثير من التفاسير لهذه الظاهرة.

بالمقابل هناك ثورة هائلة قامت بها الولايات المتحدة نفسها، وهي ثورة الإنفوميديا، لا يكاد أحد يربط بينها وبين الثورات المناوئة لأمريكا. والولايات المتحدة اليوم تستخدم الإنفوميديا ببراعة فائقة بحيث يمكن أن تراقب «العالم بأسره» فما نصيب نجاح الثورات ضدها، وما نصيب الفشل، وخاصة بعد غياب المعسكر الشيوعي؟

تنجح الثورة في حالة واحدة فقط: إذا استطاعت تحقيق ما وعدت به. فبعد الاستيلاء على السلطة تكون في مواجهة الناس عندما تضع حيّز التطبيق تلك الشعارات البراقة التي أسبغتها على الثورة. فالناس ينتظرون الرفاهية والسعادة من كل ثورة. ولكن المعروف والمألوف أن الثورة تعمد إلى خلق أجهزة أمنية وقمعية فور استيلائها على السلطة. ولكن على الرغم من ذلك فإنها تطيل من عمرها فقط. ففي الاتحاد السوفياتي حملت الثورة جرثومة انهيارها منذ اللحظات الأولى. فقد اعتقد الثوار أن الثورة لا تستمر إلا بالقوة، فعمدوا إلى شحن الثورة بكل أنواع القوة، من الدعاية والترويج، حتى الأسلحة الفضائية، ولكن الداخل الهش بقي هشاً، وحانت اللحظة التي أصيبت فيها ساقا الثورة بهشاشة العظام، فوقعت وانتهت، ولا نظن أن ثورة مشابهة سوف تحدث في خريطة العولمة الآخذة في الظهور على نحو بارز.

كيف تنجح الثورة في تحقيق ما وعدت به؟ بالاعتماد على المؤسسات الدستورية فقط. ولذلك نجحت الثورة الأمريكية إلى حد بعيد، في حين لم يتجاوز زخم الثورة الفرنسية عشر السنوات، بسبب تشددها «الثوري» بدلاً من تشددها الدستوري، فقد أعدم الملك خارج سلطة القضاء. أخذوه إلى الجمعية العمومية، ولم يثبت عليه أي تهمة من التهم التي وجهوها إليه، فما كان من الثوريين إلا أن قالوا «يكفي أن يكون ضد الثورة حتى يكون خائناً». وبلغت مخالفة الدستور حدّ سوق الملكة وابنها الذي لم يتجاوز السنة الرابعة من عمره، إلى المقصلة. ومع أن صلة القربى بين الثورتين كبيرة جداً، إلى درجة أن بعضهم يسمي الثورة الأمريكية باسم «ثورة لافاييت» كتهمة لها بأن الفرنسيين هم الذين أنجحوها.

إذا لم تعتمد الثورة على المؤسسات الدستورية في تحقيق وعودها، فإنها لن تنجح ولو استمرت قابضة على السلطة مئة عام، كما حدث للثورة الشيوعية. ولو قارنا بين الحركتين: الثورة الروسية والانقلاب التركي الذي قام به أتاتورك، لتبين لنا أن أتاتورك اعتمد المؤسسات الدستورية، وفصل السلطة التنفيذية عن السلطتين التشريعية والقضائية، فاستمرت حركته أكثر مما استمرت ثورة كبيرة كالثورة الروسية.

كل الثورات التي لا تسير في هذا النهج تصاب بالفشل، ففي القرن العشرين، قامت ثورات كثيرة باسم «حركات التحرر» وبخاصة في أفريقيا وأمريكا اللاتينية، فأصيبت بالفشل، لأن الثوار حولوا السلطات من سلطات تعمل باختصاصها، إلى سلطات تعمل على «حماية الثورة». وهي الحماية التي شكلت النعش الذي وسّدت فيه هذه الثورات. فبدلاً من التقدم بمفهوم الدولة خطوة إلى الأمام، حصل تخلف كبير في عملها. إن ثوار القرن العشرين ألحقوا الدولة بإرادتهم معتقدين أنهم ينقذون الثورة. إن النوايا الحسنة لا تكفي، فلا بد من دراية ودربة وحذر ودستور وقانون ونظام داخلي لكل مؤسسة، وجهاز تنفيذي مهني خبير. ومن هنا نفهم لماذا قامت الثورة على الثورة، فمعظم الثورات جرى الانقلاب عليها. ولم يخطئ من قال إن الثورة تبدأ بالتهام أبنائها.

باختصار: تنجح الثورة عندما تخطط جيداً للاستيلاء على السلطة، وتفشل عندما لا تستطيع أن تخلق الأدوات اللازمة لتحريك التاريخ في الاتجاه الصحيح، أي نظام توزيع الثروة القومية، وتفعيل القوى المنتجة، إنشاء المؤسسات المناسبة التي لا يحق للثوري، ولا لغيره الخروج عليها. فبعد انهيار الاتحاد السوفييتي تبين أن أغنى الأغنياء هم من الروس الذين جمعوا ثرواتهم في ظل النظام السابق. قد يكون الآباء الأوائل، كما هي العادة، نظيفي اليد، ولكن القوانين التي وضعوها لم تكن في الاتجاه الصحيح.

والملاحظ أن سوس الفساد والاهتراء أفعل وأقوى في الدولة الحديثة. فقد عاشت الدولة الرومانية ثمانية قرون تقريباً لم يمد أحد يده إلى المال العام، ومرّ هذا التاريخ الطويل من غير أن توجه تهمة واحدة لأحد رجال الدولة، لا من الدوائر الرسمية ولا من الكتاب والمؤرخين والباحثين. أما انحلال هذه الدولة رغم ذلك فيعود لأسباب أسهب في شرحها المؤرخ الشهير إدوارد جيبون، ومنها دور الدين المسيحي الذي شلّ أعصاب هذه الدولة.

يبدو أن مفهوم الثورة السياسي لم يظهر إلا في العصور الحديثة، وبصورة ملحوظة في القرن الرابع عشر، سواء في أوروبا أو عند العرب. ففي تاريخ الطبري، على ضخامته، لا نجد كلمة «ثورة» ولو مرة واحدة، بينما في تاريخ الذهبي تتكرر خمساً وعشرين مرة، وفي تاريخ ابن خلدون تتكرر أكثر من خمسين مرة، وهي تحمل المفهوم الذي حملته في أوروبا ذاتها، قبل أن تتخذ مفهومها الفلسفي في أواخر القرن التاسع عشر وما بعد.

لم تظهر الثورة إلا بظهور الدولة، ولذلك طرح الفوضويون مسألة الخلاص من الدولة، وتسليم مهماتها للمجتمع المدني، فيسير التطور في الطريق السليم، لتلبية متطلبات التقدم والازدهار... ولكنهم جعلوا الثورة نفسها طريقاً للقضاء على الدولة، مؤمنين أنها عجلة التاريخ، فكأن الثورة الفوضوية هي آخر الثورات، وكأن التاريخ ينتهي عندها، كما ينتهي التاريخ عند هيغل بتحقيق الروح المطلق لذاته، وكما ينتهي عند ماركس بتحقيق المرحلة الشيوعية (؟)

وهناك من يهزأ بكل هذه الأسس والنظريات «التاريخية» ويسخر من المتفلسفين، من أمثال باسكال، الذي يرى أن بضع ذرات من الرمل في كلية كروميل أنقذت أوروبا من اجتياحه، وأطالت عمر الكاثوليكية، ويقول لو كان أنف كليوباترا أطول مما هو بقليل لتغير تاريخ البشرية... فكأن هناك عبثية تحرك التاريخ الإنساني. والعبثية لا يمكن رصدها ولا توقعها ولا معرفة أسبابها ولا نتائجها... فرغبة في صدر قائد الثوار قد تنهي ثورة، ورغبة منه قد تشعل ثورة أخرى. إن في الدهماء رعونة عريقة، ولكنهم مثل الحطب اليابس الذي ينتظر شرارة... هذه الشرارة في رأي باسكال تخضع للمصادفة والمزاج وليس لقوانين صارمة. فهو لا يؤمن أن الصراع الطبقي عربة التاريخ، ولا الثورة عجلتها المحركة. يبدو أن الإنسان يدفع خطيئة وجوده، لهذا لم يستطع العثور على نظام مريح.

فلاديمير غريغوريف..المخرج السينمائي الذي أصبح معلماً للسيناريو

• عباده تقلا

جميل أن تقرأ عن فن السيناريو في كتب هامة، مثل كتاب» فن السيناريو»، لأستاذ كتابة السيناريو، الأميركي سيد فيلد، لكن الأكثر جمالاً و متعة، أن تأخذ المعلومة من مصدر حي، تتناقش معه فيها، تختلفان و تتفقان، على ضوء نماذج لأفلام من جهات الأرض كلها.

و هو الأمر الذي حالفني الحظ به، مع فلاديمير غريغوريف، المخرج و كاتب السيناريو الروسي، المولود في 18 آب 1938، أحد الأسماء التي تركت بصمة كبيرة في المؤسسات الفنية، في مدينة سانت- بيتربورغ الروسية، عبر تدريسه لمادة السيناريو و تاريخ السينما، لأكثر من خمسة وعشرين عاماً، لم ينقطع خلالها عن كتابة سيناريوهات مسلسلات و أفلام متنوعة.

يعدّ الرجل، الذي رحل عن دنيانا في الرابع عشر من شباط، عام 2017، قامة فنية متميزة، وأحد المراجع المهمة في تاريخ السينما، الذي كان يرويه على مسامعنا، كمن يروي تاريخه الشخصي.

في رصيد غريغوريف كمخرج، ستة أفلام روائية طويلة، وعدد كبير من السيناريوهات، ولكن رصيده الأهم، بالنسبة إلينا على الأقل، نحن طلابه الذين عرفناه عن قرب، وعشنا في صفّه خمس سنوات لا تنسى، هو ذلك الحس الإنساني العالي، والقدرة على الغوص في عمق الشخصيات التي يقدمها أو يتعامل معها، و قراءة الأفلام من زوايا مختلفة ومدهشة، وعدم البخل بالمعلومة أيّاً كان طالبها.

السيناريو هو الإخراج النظري:

منذ الدرس الأول في مادة السيناريو، ردّد غريغوريف على مسامعنا، عبارة قالها يوماً أحد أصدقائه،» السيناريو، هو الإخراج النظري.»، مؤكداً استحالة نجاح المخرج في تقديم عمل جيد، من دون وجود سيناريو قوي بين يديه، مستشهداً بالمخرج السينمائي البريطاني الشهير ألفريد هيتشكوك، الذي سئل مرة عن أهم شيء لصناعة فيلم جيد، فكان جوابه: السيناريو ثم السيناريو ثم السيناريو.

كما أن السينمائي الكبير فيلليني، كان كاتب سيناريو من طراز ممتاز، قبل أن يبدأ مسيرته الإخراجية.

أما نصائحه بشأن كتابة السيناريو، فكانت تركز على موضوع أن يقوم كاتب السيناريو يومياً، بكتابة سيناريو أو اثنين لنفسه قبل النوم، كتمرين على الكتابة.

مؤكداً أن السيناريو الجيد، لا يجب أن تتجاوز نسبة الكلام فيه 15 بالمئة.

وفي رده على أسئلة الطلاب بشأن عملهم بعد التخرج مع كتّاب سيناريو، نصحهم أن يتعلموا، كمخرجين، كتابة السيناريو بأنفسهم، فليس في العالم الكثير من كتّاب السيناريو الجيدين.

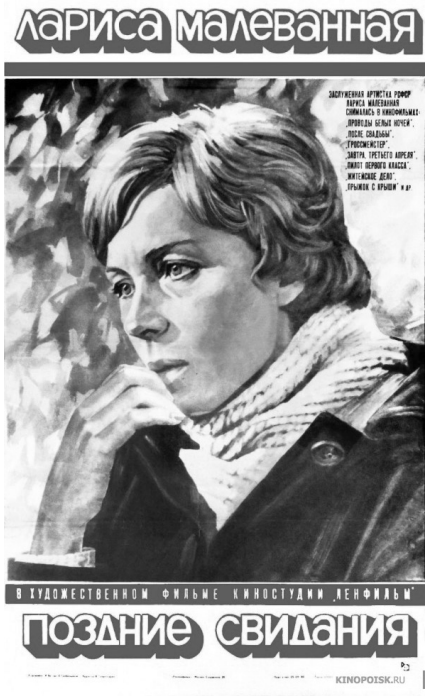

غريغوريف في أفلامه:

في أفلامه الروائية الستة، التي أنجزها ما بين عامي 1969 و 1988، و نذكر منها: آخر أيام الشتاء 1974، القفز من السطح 1977، لقاءات متأخرة 1980، و فيلمه الأخير تحليق الطيور في عام 1988.

نقرأ في تلك الأفلام، التي تقبض على المشاهد منذ لحظاتها الأولى و حتى مشهد النهاية، ملامح سينما غريغوريف، السينما المشبعة بالطيبة و العمق، الغنية بإبعادها الإنسانية، والتقاطها الذكي لأكثر المشاعر غوراً في النفس الإنسانية.

كما يبدو غريغوريف، الذي طالما أدهشنا بمعرفته الموسيقية، مستخدماً ذكياً للموسيقى التصويرية، التي بدت أحد الأبطال المميزين في معظم أفلامه.

بالحديث عن إدارته للممثلين، يظهر إحساس الراحة المسيطر على الممثلين في أفلامه، و عفويتهم الشديدة، ليذكروننا بتلك الطفلة التي ظهرت في فيلم القفز من السطح، و قدمت أداء دافئاً فوق الثلج، يفيض عذوبة و صدقاً، و بساطة و شفافية، فنقلت عدوى عفويتها إلى الممثل الذي وقف أمامها.

يسجل لغريغوريف أنه ترك هامشاً كبيراً للطفلة، لتخطئ في الحوار أحياناً، أو تنسى بعض الكلمات، لتتحول أخطاؤها الجميلة إلى مصداقية عالية، تتناغم مع روح أفلام غريغوريف.

> أكّد استحالة نجاح المخرج في تقديم عمل فنيّ جيد، من دون وجود سيناريو قوي بين يديه.

في فيلمه لقاءات متأخرة، يضعنا غريغوريف أمام فيرا، السيدة التي قدمت من الريف إلى المدينة، فأنجزت كل شيء: الدراسة، العمل و الحصول على شقة، لكن السعادة العائلية بقيت بعيدة عنها، و عندما التقت بنيكولاي و أحبته، تخلت عن حريتها المعتادة، كما ضحى هو بعائلته من أجلها، لكنهما عجزا عن إكمال الدرب معاً، لأن اللقاء جاء متأخراً جداً.

فيلم حميمي عن حياتنا التي تمرّ من بين أصابعنا، تبرع في أسرنا، و جعلنا منقادين لمتطلباتها الكثيرة، قبل أن نكتشف، متأخرين، أننا فقدنا أجمل ما فيها.

فيلم يقدمه غريغوريف، كما في بقية أفلامه، بانسيابية و شاعرية، دون أي فزلكات إخراجية.

الجدير بالذكر أن كثيراً من الشباب الروسي، يعيد اكتشاف سينما المخرج الكبير، و تعود أفلامه لنيل الترحيب الذي تستحقه، بعد مضي كل تلك السنوات على إنتاجها.

فن السينما بعيون غريغوريف:

عندما سأله أحد الطلاب عن رأيه بما يقدّم من أفلام في عالم اليوم، صمت غريغوريف قليلاً، قبل أن يجيب بتأثر و حزم: فن السينما في العالم، انتهى في الثلاثين من تموز عام 2007.

تبادل الطلاب النظرات، و أسرع بعضهم لاستخدام الإنترنت، لمعرفة ما حصل في ذلك اليوم، لكنني سبقتهم بالإجابة: في هذا اليوم توفي بيرغمان.

ابتسم غريغوريف لثوان، قبل أن يخبرنا أن الدرس القادم، سيكون حضوراً لفيلم بيرغمان الشهير، التوت البري، أفضل أفلام بيرغمان برأي غريغوريف، و هو الفيلم الذي قادنا إلى نقاشات كثيرة، حيث عدّ غريغوريف العام الذي صنع فيه الفيلم، 1957، عاماً مهماً في تاريخ السينما،(فيلليني أخرج فيلم ليالي كابيريا في العام نفسه)، قبل أن يبحث غريغوريف عن التقاطعات بينه و بين بطل فيلم بيرغمان، و هو ما أشعرنا أن الرجل يشعر بدنو أجله، و هو ما كان بعد خمسة أشهر من حضورنا لفيلم التوت البري.

أما أفضل فيلم سينمائي على مرّ العصور، فهو فيلم فيلليني ثمانية و نصف، حسب رأي غريغوريف، الذي كثيراً ما كان يردد عبارة المخرج بيرغمان، الذي عمل في السينما و المسرح في الوقت ذاته. يقول بيرغمان:» إننا نضيع في السينما خمسة و تسعين بالمئة من جهدنا على التقنيات، و يبقى خمسة بالمئة للإبداع، أما في المسرح، فنضيع النصف فقط.»

قصته مع أنطون تشيخوف:

كان الراحل غريغوريف، واحداً من أكبر عشاق الكاتب الروسي أنطون تشيخوف، إلى درجة أنه لم يكن يستطيع سماع أي رأي سلبي، يمسّ التجربة التشيخوفية، التي كان ينظر إليها كتجربة أدبية و إنسانية لا يمكن لتجربة أخرى أن تتجاوزها،» تشيخوف لا يكرر نفسه في أي من أعماله، دائماً هناك جديد، و لا شيء يخضع للمصادفة في مسرحياته و قصصه، فكل شيء مرسوم بدقة و عناية فائقتين.»

كان يردد هذا دائماً على مسامعنا، و مسامع طلاب الصفوف الأخرى، متحسّراً أنه عندما مات تشيخوف، وجدوا في دفاتره أكثر من خمسمئة فكرة، لم يقدّر له أن يضعهم في قصص و مسرحيات.

برغم اختلافي معه في تقييم الكثير من إنتاجات تشيخوف، إلا أنني كنت معجباً بذلك الحماس، و تلك المحبة الصادقة، و الشغف برؤية طلابه يجسدون مقاطع من أعمال تشيخوف.

كان يرى أنه من المعيب على طالب يدرس السيناريو أو الإخراج، ألا يكون قد قرأ مسرحيات تشيخوف الأكثر شهرة: النورس، الخال فانيا والشقيقات الثلاث، إضافة إلى قصته الطويلة السيدة صاحبة الكلب. مردداً في كل درس تقريباً، بما يشبه الإنذار،» عندما أعطي مثالاً من أحد هذه الأعمال، لا أريد أن أسمع أن أحداً منكم لا يتذكره.»

لقاءات متأخرة:

كما عنونت أحد أفلامك بـ « لقاءات متأخرة»، ربما هكذا كان لقاؤنا بك.

لكنّا نعود لإيماننا أن الأشياء لا تأتي إلا في وقتها المرسوم تماماً، و أن كل ما نملكه الآن هو حفظ ذكراك، و مواصلة التعلم من كل ما قدمته لنا.

سنذكرك دائماً يا معلمي، مع كل سيناريو نشرع في كتابته، وعند كل فيلم نتابعه، و نحلل مواطن الضعف و القوة فيه.

سنتذكر دموعك و أنت تقرأ علينا سيناريو كتبته، و مات البطل في نهايته. و سنحرص على تجهيز سيناريو كل أسبوع، كما اعتدنا طوال سنوات الدراسة.

سنتذكر منديلك القماشي، و خوفك من البرد، و طلب إغلاق النافذة مع بدء كل درس. فرحك الطفولي بفنجان الشاي الذي كنا نقدمه لك، و فرحنا بكل فيلم جديد، تطفأ الأضواء لنتابعه معك، و نتسابق بعد انتهائه، لإطلاق ملاحظاتنا، و إثبات كم نحن نقاد محترفون، و مخرجون قادمون بقوة إلى عالم الفن السابع.

الحداثة حتمية تاريخية

•د. عدنان عويد

يبدو أن مفهوم الحداثة لم يزل في حالة التباس وضبابية عند الكثير ممن حاول الاشتغال عليها أو الكتابة عنها، وحالة الالتباس تأتي من الخلط أو عدم التميز ما بين الحداثة وما بعد الحداثة.

إن الحداثة في سياقها العام هي مشروع حضاري تقدمي يفرض نفسه دائما على المجتمعات كأمر حتمي طالما أن هذه المجتمعات في حالة تطور وتبدل مستمرين. أي أن الحداثة وفق هذا التصور هي مشروع أو نظام حياة بكل تجلياتها المادية والفكرية، تفرضه سيرورة وصيرورة تطور المجتمعات الحتمية، وبالتالي هي مشروع أو نظام لا يعرف السكون أو الثبات أو الاطلاق، وإنما الحركة والتطور والتبدل والنسبية.

أما ما بعد الحداثة، فتأتي في سياقها العام مشروعاً فكرياً يغلب عليه الطابع الأيديولوجي ألتنظيري في الغالب، وتتبناه حوامل اجتماعية محددة، تهدف من ورائه وبشكل مقصود وموجه إعادة تقويم منجزات الحداثة و ضبط آلية عملها وإنتاجها، وبالتالي إعادة توجيهِ خط سيرها وفق مصالح قوى طبقية محددة، غالبا ما تكون قوى مستغلة كما هو الحال في المجتمعات والدول الأوربية التي َراح منظرو الطبقة الرأسمالية الاحتكارية ينظرون لها.

إن ما بعد الحداثة وفقا لهذا التصور، هي مشروع أو نمط حياة يغيب عنه دور القوى الجماهيرية الفاعلة في التاريخ كموجه لحركة التاريخ نفسه، ويبرز دور القوى المستغلة ومنظروها الذين يعملون على رسم ملامح حياةً جديدة يريدون تطبيقها على الواقع بشكل إرادي ومدروس، بهدف استمرارية وجود هذه القوى على رأس الهرم السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومن هنا تأتي مسألة التنظير لمجتمع أو لعالم ما بعد الحداثة بكل مستوياته على أنه عالم أو مجتمع النهايات والموت والتفكيك وتحطم النظريات الكبرى وتحطيم العقل ...إلخ، أي تحطيم الحداثة ذاتها كفعل تقدمي وكل ما يدعو إلى جوهر الإنسانية ورقيها فيها، أو ما يساهم في إعطاء الجماهير المقهورة دورها في إدارة العملية التاريخية.

من هذا المنطلق نحن بحاجة ماسة إلى التعرف أكثر على مفهوم الحداثة، وضرورة الفصل ما بينها وبين مفهوم ما بعد الحداثة، على اعتبار أن الحداثة مشروعا إنسانيا كما أشرنا أعلاه، يجب علينا التطلع إليه دائما وتبني مفرداته، كونه يحمل معه تطور المجتمع ورقيه وفقا للمرحلة التاريخية التي يعيشها هذا المجتمع أو ذاك.

تجليات الحداثة في أوروبا؟:

لقد تجلت الحداثة الأوربية في خطها أو مستوى تطورها الفكري الفلسفي، بدعوتها لتجسيد الحرية الفردية، واعتبار العقل المرجعية الرئيسة في حياة الفرد والمجتمع، ثم التأكيد على اعتبار المجتمع مجتمع مصالح متبادلة بين أفراد أحرار (مواطنون) لا رعايا ولا عبيد، تحكمهم وتضبط حركتهم ومصالحهم دولة قانون، ومؤسسات وضعية علمانية، ترفض تقديس الأشياء والأفكار والأشخاص. كما تدعو إلى اعتبار المجتمع وحده مصدر السلطات، وأن تداول السلطة من حق الجميع، ويتم تداولها بشكل ديمقراطي. هذا إضافة إلى دعوتها لتطبيق مبادئ العدالة والمساواة

أما الحداثة الأوربية في خطها أو مستوى سيرها العملي، فقد تجلت في سعي حواملها الاجتماعيين من الطبقة البرجوازية في مرحلتها الأولى، على نمذجةِ أوربا أولا، ثم السعي لنمذجة العالم الآخر وفقا لمصالحها هي ثانيا، حيث وجدت في البعد النظري للحداثة في صيغتها النظرية التي جئنا عليها أعلاه، سلاحاً بيدها حطمت به سلطة الإقطاع والكنيسة والملك في أوربا من جهة، مثلما وجدت في البعد النظري ذاته سلاحا بيدها أيضا لطرح وتمرير رسالة الرجل الأبيض استعماريا، بغية أن تسود أو تسيطر على دول العالم الثالث من جهة ثانية.

إن محاولة نمذجة العالم وفقا لمشروع الحداثة من قبل الطبقة الرأسمالية، كانت في بدايتها دعوة (تقدمية) لتعميم شمولية العقل الإنساني وحرية الإنسان وعدالته، الأمر الذي جعل منها نمذجة مضاعفة تطال التاريخ والعقل معا.

لقد استطاعت الحداثة الأوربية عبر حواملها من الطبقة البرجوازية الأوربية التي شكلت حالة تقدمية في بداية صعودها أن تسيطر على السلطة الاقتصادية والسياسية في دولها، وبالتالي السعي إلى تغيير العالم وفقا لمصالحها فعلا والانتقال به من عالم الخرافة والامتثال واللامعقول.. عالم الظلم والاستعباد، إلى عالم الحرية والعلم والمعرفة والتكنولوجيا. بيد أن هذه الطبقة الرأسماليةِ التقدمية في بداياتها راحت تتحول شيئا فشيئا إلى طبقة إمبريالية تمارس الظلم والقهر والتشيئ والإستلاب على شعوبها وشعوب دول العالم الثالث معاً. حيث دفعنها مصالحها بالضرورة إلى تفريغ قيم الحداثة التقدمية التي بشرت بها وعملت عليها من مضمونها الإنساني، وتحويل الكثير من قيمها إلى شعارات مفرغة من مضمونها.

نعم، إن الحداثة الأوربية جاءتِ هنا تعميماً لخط التطور الأوربي على الأخر سابقا ولاحقا، وهو خط أحادي يختزل التاريخ بالتجربة الأوربية، حيث أعلى من شأنها في مرحلتها التقدمية الماضية الداعية إلى العقل والحرية والكرامة والمساواة الإنسانية والنهضة، التي جعلت منها تجربة تتطلع إليها الشعوب المتخلفة والمقهورة في العالم الثالث، بيد أن هذه التجربة في المرحلة المعاصرة، أي مع مرحلة الرأسمالية الاحتكارية، مرحلة الرسملة والعقلانية الأدائية، راحت تعمل على تدمير كل قيم الحداثة التقدمية ليس في أوربا وحسب، بل وفي كل مكان تطاله من دول العالم، حيث تحولت الحداثة هنا إلى ما بعد الحداثة، وأصبحت الطبقة الرأسمالية الاحتكارية الحامل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لهذه المرحلة تعمل خلق عالم السوق الجديد (العولمة) الذي سُلع فيه كل شيء حتى غرائز الإنسان، الأمر الذي دفع الكثير من منظري هذه المرحلة إلى تأكيد ضياع الإنسان وتشيئه واغترابه واستلابه وتذريره وفقدانه قيمه الإنسانية واعتبار هذا التحول امرا طبيعيا فرضته نهاية التاريخ التي بشرت بها العولمة بقيادة الطبقة الرأسمالية الاحتكارية ومن يقف معها من مفكرين وفلاسفة وأدباء وسياسيين وغيرهم.

سمات وخصائص الحداثة:

أولا: التاريخية:

تعتبر السمة التاريخية من أهم السمات التي تمنح الحداثة حيويتها على اعتبارها – أي الحداثة - تحمل في آلية عملها التطور والتبدل الحتمي. فالتاريخ ممثلا بظواهره ومنها الحداثة، سيرورة وصيرورة مستمرتان، وفي كل محطة من محطات التاريخ التي لا تنتهي هناك وقائع جديدة تفرض نفسها بسبب نشاط الإنسان الذي لا ينتهي أيضا. وهذا النشاط الذي يتجلى ماديا وروحيا، له حوامله الاجتماعية التي تمارسه خدمة لمصالحها، وبالتالي فمصالح القوى الطبقية هي من يحرك التاريخ ويرسم ملامحه العامة، فكلما كانت مصالح هذه القوى الطبقية ذات بعد إنساني، كانت معطيات الحداثة معطيات إنسانية بالضرورة، ولكون تاريخ الإنسان هو تاريخ حريته، أي تاريخ نضاله من أجل تحطيم كل ما يعوق تجوهر إنسانيته، إلا أن هذا الطبقة الذي تناضل من أجل حريتها في مرحلة تاريخية محددة، هي ذاتها تعود بهذا الشكل أو ذاك لتمارس ظلمها وقهرها على الآخرين بغية الحفاظ على مكانتها ومصالحها التي تهددها مصالح القوى الطبقية الجديدة التي أفرزتها عملية تطور الإنتاج وعلاقاته. وعلى هذا الأساس جاء التنظير لما بعد الحداثة من قبل الطبقة الرأسمالية ومنظريها الذين عملوا من أجل الحداثة في بداية ظهورها أو صعودها في أوربا كما أشرنا قبل قليل. فمرحلة ما بعد الحداثة التي راحت تنظر لها منذ نهاية الحرب العالمية الأولى هي التعبير الأيديولوجي المعبر عن طموحات هذه الطبقة بعد أن تحولت إلى طبقة رأسمالية احتكارية. فالتاريخ الإنساني بكل مكوناته الحضارية مع وصول الرأسمالية إلى مرحلة الرأسمالية الاحتكارية، يجب بقناعة هذه الطبقة الاحتكارية أن يعيش عالم هذه الطبقة وهي العولمة التي تشكل مهاية التاريخ عندها. أي بتعبير آخر، على الجميع أن يقبلوا التعايش مع النظام الرأسمالي ويعيدوا هيكلة أنفسهم معه. بيد أن هذا الموقف من التاريخ هو موقف يعاكس أو يناقض حركة التاريخ، فالتاريخ ليس له نهايات، وأن تناقضات وصراعات مصالح مكوناته الاجتماعية ستظل قائمة، وستفرض استمرارية حركته وتطوره وتبدله باستمرار. أي استمرارية فعل الحداثةِ بالضرورة.

ثانيا: الأنسية:

الإنسيّة أو الإنسانية، وهي سمة أخرى من سمات الحداثة. فالحداثة تعبير عن التطور والتقدم الإنساني كما أشرنا اعلاه، وما تاريخ الإنسانِ في صراعه مع الطبيعة أولا ومع من يستعبده ثانيا من جنسه البشري، إلا تعبيرا عن صراع هذا الإنسان من أجل انتزاع إنسانيته من براثن الضرورة بشقيها الطبيعيوالاجتماعي. ففي البدء ناضل الإنسان ضد الضرورةِ الحكمية (قوانين الطبيعة العمياء)، فاستطاع شيئا فشيئا أن يكتشف الكثير من أسرار قوانين الطبيعة، وفي كل مرة يكتشف فيها قانونا من قوانينها يستطيع التحكم بجزء من آلية عملها العمياء، وبالتالي يحوز على شيء من حريته، أي يسترد شيئا من إنسانيته التي اسلبتها الطبيعة. وفي الفترات اللاحقة من تطور قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج وضياع الإنسانِ نفسه في إنتاجه، راح يناضل ضد هذه الضياع ممثلا باستلابه وتشيئه واغترابه الذي وضعه فيه أخيه الإنسان الذي استعبده، وهو هنا في نضاله الطبقي هذا، استطاع أن يحصل أو يحوز على حريته الجسديه من ربقة العبودية، و على جزء كبير من حريته المعنوية، وها هو اليوم يستمر في نضاله كي يكسب ما لم يستطع أن يكسبه سابقا من جوهر إنسانيته، رغم كل ما تمارسه ضده القوى المستغلة من قهر وظلم واستلاب وتغريب وتشيئ.

إن السمة الإنسانية في الحداثة هي أمر حتمي أيضا، ولكنها حتميته ليست ميكانيكية، بل حتمية مشبعة بإرادة الإنسان ووعيه لذاته كإنسان من لحم ودم، له حقوق وعليه واجبات في مجتمعه ودولته ومن حقه أن يمارسهما.

ثالثا المادية:

تعتبر المادية سمة أخرى من سمات الحداثة في مرحلة متطورة من مراحل تاريخ الإنسان، خاصة بعد أن وعى نفسه كإنسان حر مستقل في قراره وتحقيق مصيره، وليس هناك قوى أخرى هي من يرسم له هذا المصير، أي يرسم له الطريق الذي عليه أن يسلكه في حياته. فالمادية وفق هذا التصور، هي نزعة إنسانية لأنها ترفض نمذجة الإنسان وفق تصورات غيبية امتثالية تفرضها سلطات من خارج التاريخ أو من داخله عبر قوى سياسية سلطوية تعتبر نفسها وصيّة على هذا الإنسان ومسؤولة عن قدره وحياته. فالمادية في ابسط صورها هي الإقرار بوجود قوانين موضوعية وذاتيه متعلقه بالفرد والمجتمع والطبيعة هي من يتحكم في حياة الإنسان، وما على الإنسان إلا اكتشافها والتحكم بها، وبالتالي تسخيرها لمصلحته كي يرتقي بإنسانيته.

إن الإنسان وفق هذا التصور المادي لحياته هو ضرورة وحرية معا، هو ضرورة كونه محكوم بالقوانين الموضوعية في الطبيعة والمجتمع، وهو حرية كونه يتمتع بالقوة الذاتية التي تمنحه القدرة على كشف سر هذه القوانيين والتحكم بها لمصلحته.

رابعاً: العقلانية النقدية:

تعبر العقلانية من السمات الهامة بالنسبة للحداثة، وهي مرتبطة بسمة الإنسانية أيضا، إن لم تكن وجهها الأخر. إن ما يميز الإنسان عن كل الأشياء المحيطة به هو عقله، الذي يعني وعيه، وللوعي درجات، وهو حاصل معرفة الإنسان عبر تاريخ نشاطه الطويل في حياته المادية والفكرية. وهذا ما يمنح العقلانية حالات تطورها التي تبدأ بوعي الإنسان نفسه وتمييزها عن الآخر، مرورا بالعقلانية الأداتية التي توظف العقل أو معارف الإنسان لتأدية مهام براغماتية تخدم قوى اجتماعية محددة تعمل على تسخير العقل لخدمتها، وغالبا ما تؤدي هذه المهام العقلانية الأداتية إلى تدمير الإنسان نفسه عندما يسخر العقل ضد الإنسان، كما هو الحال في الاستثمار غير العقلاني للبيئة، أو في استخدام الأسلحة الفتاكة في الحروب وغير ذلك.وصولا إلى استخدامه أخيراً كعقل نقدي يعمل على كشف الحقائق التي تهم الإنسان وتسخير معطياتها لمصلحته. وهنا يأتي دور العقل النقدي في المعرفة كمنهج فكري لتحقيق التقدم، وأن أهم ما يميز هذا المنهج العقلاني النقدي، أنه يرفض الإطلاق في الحقائق، ويؤمن بالنسبية، فالحقيقة في هذا المنهج تقوم دائما على معرفة ناقصة. كما أنه يؤمن بالحركة والتطور والتبدل، مثلما يؤمن بأن للكل أجزاء، وكل جزء يؤثر في الآخر، وأن أية ظاهرة لها شكل ومضمون ولها داخل وخارج والعلاقات بين الجزء والكل والداخل والخارج علاقة جدلية ذات تأثير متبادل. كما يؤمن هذا المنهج العقلاني النقدي بأن أحوال الناس تتطور وتتبدل مع تطور وتحولِ نحلتهم من المعاش كما يقول «ابن خلدون». وأخيرا يومن هذا المنهج العقلاني النقدي بأن التاريخ الإنساني لا يسير بخط مستقيم، بل إن مسيرة التاريخ بمكوناته قابل للتوقف والتراجع أحيانا، وهو يسير بخط حلزوني جدلي يرفض السكون والثبات أو التلاشي.

ملاك القول: الحداثة إذن مشروع حياة بكل مكوناتها المادية والفكرية، وهي أمر حتمي، قد تعمل بعض القوى الاجتماعية على إيقاف حركتها لمصلحتها، إلا أنها لا تستطيع إلغاءها. إن الحداثة أمر حتمي، ولكن حتميتها ليست ميكانيكية، بل حتمية جدلية، سيدها وصاحب الأمر فيها الإنسان بعد أن وعى ذاته كإنسان من حقة أن يحوز على جوهر إنسانيته، وفي كل مرحلة من مراحل تطور حياة هذا الإنسان في تاريخه، تعتبر القوى الاجتماعية التي تدفع بهذا التاريخ إلى الأمام قوى تقدمية، بالرغم من كونها تعمل مستقبلاً على عرقلة مسيرة الحداثة من أجل مصالحها، غير أنها لن تستطيع أن توقف عجلة التاريخ وتلغي الحداثة من مسيرتها لأنها قدر الإنسان الذي يصنعه بنفسه.

البجع البعيد

ديوان شعر جديد للشاعر ياسين عزيز حمود صدر حديثاً ضمن منشورات اتحاد الكتاب العرب تحت عنوان البجع البعيد ، وقد ضم باقة من الأشعار لوطنية التي تمجّد الشهادة والنداء ومشاهد الفداء... وأنباء سورية يدافعون عن سيادتها، بالإضافة إلى قصائد مشدودة إلى وتر القيم النبيلة من حب، وألفة، وأشواق،

من أجواء الديوان نقتطف:

حشدوا مجانين البوادي كلها
فتألبَت وتكالبت الكفار
من أجل مصلحة اليهود تأمركوا
وتغيّر الناموس والمعيار
بل بدّلت كل النواميس التي
حفلت بها الآيات والأسفار
وكتابهم ما سنّ طاغوت العصور
ببيته وشفيعه الدولار
وتهافتت أحلامهم كعقولهم
فتوحشٌ وخيانة وصغار
ودم الحسين مشرّفٌ ومضوعٌ
وبضوعه يتوضّأ الأطهار

جاء الديوان في حوالي 215 صفحة من الحجم الوسط.

ديوك الغريب

عن دار الشرق للطباعة والنشر بدمشق صدر ديوان شعري جديد للشاعر محمد كنايسي بعنوان: ديوك الغريب ضم بين دفتيه مجموعة من القصائد الوجدانية والاجتماعية والغزلية.. فيه الكثير من البوح الشفيف والغنائية الجميلة وكثافة الصور، وقد رصد الشاعر من خلال قصائده عشقه لتراب الوطن وقداسة الانتماء فجاءت القصائد موشاة بالياسمين الدمشقي والعبق الطالع من الأوابد الراسخة رسوخ الأبد.

يقع الديوان في 520 صفحة من القطع المتوسط ومن قصيدة للشاعر نقتطف..

وفي روحي دموعك يا دمشقُ
تسيل على خدود القيروان
ومن فرط التماهي لست أدري
دمشقيٌ أنا أم قيرواني

رحلة هروب ممتزجة بالحب والتاريخ وعبق الذكريات

• سريعة سليم حديد

غواية والغوايات كثر، منها: غواية الروح والعقل والفن والإبداع والهوس في كتابة ما لم يُكتب من قبل.. فتكون الغواية قد وصلت أوجها، وحققت مآربها.

ومن باب الغواية يدخل الأديب الدكتور: عبد المطلب محمود. باب روايته التي بعنوان: (غوايات) مستلهماً أحداثها من الذاكرة الخصبة وفق تناوب لطيف ما بين الراوية (لالاّ فاطمة) و(بغداد) والذي يأخذ العديد من صفحات الرواية، ويتخلل ذلك عناوين منها: (فيروس) ويتكرر هذا العنوان مرتين، أما عنوان (توفيق) فيتكرر ثلاث مرات فقط.

تبدأ الراوية (لالا فاطمة) بذكر مؤثر لحمم الذكريات المتلاحقة في (بغداد) فيما يخصُّ (سي الجيلاني) بغزارة ثقافته، وولعه بما يقرأ وحلاوة حبُّه وتعلقه بمدينته (بغداد).

أما عنوان (بغداد) فتكون الراوية هي مدينة (بغداد) ذاتها بما تحمل من أنفاس الذكريات لأبنائها وخاصة (سي الجيلاني). نقتطف:

(ولكم رأيت الولد وسمعته، وهو يمارس طفولته مع تلك الجدة، عندما يروح يختبرها بسؤاله إياها عن سرٍّ وقوف اللقالق على ساق واحدة، أعني السؤال الذي طالما اختبرها وسمع جوابها الذي لا يتبدَّل بشأنه، والذي طالما أضحكه طويلا إذ حفظه في قلبه وذاكرته:

- لأنها لا تريد إتعاب ساقيها مرَّة واحدة، يا ولدي.) ص 17

على الرغم من أن (الجيلاني) قد فرَّ هارباً من (بغداد) وذلك أثناء الحرب الأمريكية عليها إلا أن دروبها ما تزال تحفظ وقع خطواته، وهواءها يعبق بحرارة أنفاسه، فكان لمغادرته إياها كل الأثر المحزن في نفسها ونفسه. فتركها متَّجهاً إلى مدينة (طنجة).

لقد سردت (بغداد) سرَّ حبِّه لرفيقة مدرسته (إيمان) هذا الاسم الذي ارتبط بذكر اسمه (توفيق) في الكثير من تفاصيل ذلك الحب الذي أخذ اتجاهاً آخر مقارنة بما عاشه (الجيلاني) من مغامرات غرامية متنوِّعة.

علاقة (لالا فاطمة) (بسي الجيلاني) علاقة حب منذ اللحظة الأولى التي التقت به في مدينة (طنجة) وفي بيتهم وعلى رمال الشاطئ الأطلسي.. فخرجت معه إلى الفندق، وسارت وإياه في طريق المدرسة.. علاقة حب رمت شباكها الصدف الطيبة غير عابئة بما ستحمله لهما الأيام من مفاجآت.

تكشف (لالا فاطمة) عن سر علاقتها (بسي الجيلاني) هذه العلاقة التي تطوَّرت إلى حد غريب، وقد مات زوجها منذ مدة بعيدة، بعد أن ترك لها عدة أولاد. فهي تغار من أمها (لالا سعيدة) التي باتت تربطها (بسي الجيلاني) علاقة عشق موصودة الأبواب. علماً أن أمها كانت تنظر إليه على أنه قادم من بلد الأولياء الصالحين، فتدعو أولادها لتقبيل يديه لنيل بركاته. مما ولَّد الغيرة في قلب (فاطمة) ودفعها لممارسة الحب مع (الجيلاني) كما ترغب وتشتهي.

تتدافع الأحداث ببطء حاملة معها حلاوة الذكريات ووهج الحب واللقاءات المتباعدة ما بين (توفيق وإيمان) هذه العلاقة التي ما يزال أوارها مشتعلاً على الرغم من تزوُّج (توفيق) بامرأة أخرى وإنجابه ابنتين، وتزوَج (إيمان) وإنجابها أولاداً أيضاً.

(لالاّ فاطمة) وهي تخشى ما تخشاه من وقوع (الجيلاني) بحب ابنتها (عزيزة) ففيها من الصفات المميزة التي من شأنها أن تجذبه إليها بكل بساطة ويسر.

تعود (بغداد) لتتحدَّث عن حبِّها لأبنائها وحبِّهم لها، نقتطف:

(ولكم حرصت على أن أكون كأبنائي، فأكتشف أنني أستطيع كل شيء إلا أمراً واحداً، هو فرق ما بيني وبينهم، إنهم يستطيعون تركي وهجرتي وقتما يشاؤون، سائحين أو موفدين أو هاربين، من دون أن أتمكَّن من ذلك. إنهم يمكنهم أن يرحلوا عني، وأظل مقيمة فيَّ وفيهم أو في بعضهم، أو في كثير منهم أيضاً.) ص48

في تتابع الصفحات نكتشف مدى محاولة الأديب (عبد المطلب محمود) توضيح بعض النقاط التاريخية المتعلِّقة بالعراق على وجه التحديد، وخاصة مسألة الغزو الأمريكي مروراً بأطماع وحيل الكثير من الدول التي كانت تقف في الظل لتختلس المكاسب بشكل غير مباشر.

هذا الوجع كشفت عنه فاطمة بحوارها مع (الجيلاني) بشكل عابر لكنه يترك ألماً بليغاً لا يمكن تجاهله أبداً. نقتطف من موقف فرنسا التي كانت ضد اجتياح العراق في الظاهر:

(وراح يحدِّثني عن حقيقة موقفها قائلاً: إن العراق كان يغمرها بامتيازات خاصة حتى لحظة بدء الغزو، حتى تبيَّن أن جائزتها من أمريكا أدسم من العراق ونفطه ومصالحها فيه، وسألني:

أتعرفين ما جائزة فرنسا، يا فاطمة؟...

أن تستمر تجارتها مع أمريكا في توريد النبيذ والعطور ومواد التجميل.. التي تدر على شركاتها أرباحاً بمليارات الدولارات.) ص58

تتحدَّث (بغداد) من خلال ذكرياتها، وفيما يتعلَّق بأبنائها عن حادثة وقعت (لعبد المطلب محمود) الذي هو مؤلِّف الرواية ذاته. يتحدَّث فيها عن تلك المشكلة التي اعترضته في مطاري (بغداد ودمشق) فأصبح كالمعلَّق في الفضاء بلا انتماء أو هوية. وكذلك تسرد (بغداد) ما حدث (لعباس بن حمدان) في العراق وأي ظلم وقع عليه. وكذلك حادثة قتل الشابة (سعاد) وخيبة الأمل التي مني بها زوجها، بعدما عرف بحقيقة علاقتها بمن كانت تحبه من قبل.

من اللافت قصة الشبان الذين يتآمرون مع عناصر الشرطة للسرقة والنهب واستغلال الناس. فهم يستأجرون سيارة الشرطة ضمن أجر متفق عليه ثم يتجَّهون إلى عيادة أحد الأطباء الأثرياء، فيعرضون عليه دفع مبلغ باهظ من المال مقابل ألا يأخذوه إلى التحقيق، قد يدفع الثمن في السجن لسنوات عدة دون أن يعرف ما سبب ذلك، فيضطر الطبيب إلى دفع المبلغ بكل طواعية وامتنان.

وبتوالي عناوين الرواية تتبيَّن الكثير من الأحداث الغريبة التي وقعت لأبنائها سواء في داخل العراق أم خارجه. ومما يميِّز تلك الأحداث أنها منفصلة عن بعضها فلا رابط لها سوى أن الراوية واحدة وهي (بغداد) وتسردها على سبيل الذكريات فقط، وبعضها متعلِّق بحالة حب (الجيلاني وهو توفيق) مع حبيبته (إيمان).. نقتطف:

(كانت (إيمان) حتى قريب المثل الأعلى لبناتي الحبيبات الأثيرات عندي، حد أني رحت أتخذها قرينة لكل فتاة أراها، وأمتلئ إعجاباً بها.

ولطالما أعجبت بكثيرات ممن يشبهنها في ملمح أو التفاتة أو ابتسامة أو حتى قصَّة شعر! ولطالما أسعدني أن أراها سعيدة...) ص139

كما أن الذاكرة تمتد إلى نتائج تلك الحرب المدمِّرة التي وقعت على العراق وأهله ونتائج تلك الحرب خاصة على الناحية الاجتماعية لما خلفته من حوادث سرقة ونهب ولصوصية تطوَّرت بشكل كبير إلى أن تشكَّلت مافيات منظمة لتلك السرقات وحالات النهب الغريبة، حتى إن بعض المنظمات قد عمدت إلى سرقة الآثار والتحف وكأن التاريخ يعيد نفسه الآن وبالشكل المنهج ذاته.

ثمة أمنية كانت تجول في نفس الراوي وتساؤلات تعكس كل الطموحات التي من شأنها تحقيق الخير والسعادة لأبناء العراق بعد كل ما تعرَّضوا له من دمار وقهر وألم. نقتطف:

(إنني ما أنفكُّ أحترق

لكنني أستطيع النهوض والتحليق، وقد دأبت على هذا، ويكفي عصفور واحد يهتدي إلى قطرات ماء تنضح من أنبوب مكسور في أرض خلاء، أن يعلِّمني درس الإصرار، مثلما فعل ذلك العصفور الظمآن.

نعم، إنه يكفيني ويعلمني الخروج من "غيابت الحاضر" لأحمل قميصي وألقيه على وجوه أخوتي، فيرتدوا مثل (يعقوب) مبصرين.) ص218

إن شخصية (الجيلاني) لم تتطوَّر، وخاصة أن الرجل قد رحل إلى مدينة (طنجة) المغربية، وسارت الأحداث مجرَّد لقاءات وغراميات متعددة الاتجاهات. الأم سعدية، فاطمة، عائشة، وحالات استلطاف وإعجاب متفرِّقة

الرواية عبارة عن مجموعة من القصص القصيرة المتنوِّعة المثيرة غير مرتبطة بحدث ما ماعدا كونها حدثت في العراق وفي فترة زمنية متقاربة ترويها (بغداد) تلك المدينة التي شهدت أنواعاً شتىً من الحروب وما نجم عنها من انحلال في الأخلاق، وما إلى ذلك.

تفتقر الرواية إلى الحدث الدرامي الذي يوصل القارئ إلى الذروة في التشويق، والذي يشدُّه إلى المتابعة، حتى من الممكن له أن يقرأ الصفحات المروَّسة (ببغداد) فقط، فيجد ذلك النفس التاريخي الذي لا يخفى على أحد. لكن هذه المقتطفات التاريخيَّة الهامة التي من شأن بعضها أن توضِّح الكثير من القضايا التي قد تكون غير ظاهرة للكثيرين، موضحة بذلك مدى الوجع التاريخي الذي حلَّ بالعراق منذ مئات السنين مروراً بكوارث الفيضانات والمجاعة والفقر والظلم..

الرواية تعتبر حالة توثيقية لما حدث في العراق عندما اجتاحها الأمريكي، مروراً ببعض الصفحات لما تعاقب عليها من غزاة. وفي الجانب الآخر تعكس وله (لالا فاطمة) الشديد (بسي الجيلاني) وغيرتها القاتلة التي توصلها إلى حافة المرض الطاغي، فقد شعرت بالغيرة من أختها (عائشة) وابنتها، وقامت بضرب إحدى الفتيات لأنها رأتها تجلس معه.. حتى جعلتها هذه الأمور تنقل بحالة إسعافية إلى المشفى.

اللافت في شخصية (الجيلاني) أنها شخصية ساكنة، فلم يقم بأي دور مهم في (طنجة) تلك المدينة التي أصرَّ على الذهاب إليها لما تربطه بها من ذكريات عميقة. فأخذ دور المعشوق الذي تتهافت عليه الحسناوات لما له من جمالية ولأنه من أرض أولياء الله الصالحين.

تتخلل الرواية الكثير من اللهجات العربية كالعراقية والسورية ولكن أكثر لهجة استعملت هي اللهجة المغربية.. (بالزاف) وتعني: كثير. ولالاّ وتعني: السيدة. وخا.. وديالي... وقد تم شرح تلك الألفاظ وغيرها في نهاية الرواية. وإن دلَّ هذا على شيء فلا يدلُّ إلا على عمق الاطلاع على طبيعة اللهجات، وعلى حسن صياغتها ضمن المؤلَّف الذي يقرِّب الأحداث من صلب الواقع، ويعطيها طراوة وملاحة.

الرواية غوايات.

الكاتب: الدكتور: عبد المطلب محمود.

منشورات اتحاد الكتاب العرب.

الأسبوع الأدبي

المراسلات

الجمهورية العربية السورية - دمشق -ص.ب(3230) - هاتف 6117240-6117241 -فاكس 6117244- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير. هاتف الاشتراكات 6117242

ثمن العدد داخل القطر 25 ل.س - في الوطن العربي: 0,5 $ خارج الوطن العربي1$ أو ما يعادله. تضاف أجور البريد للمشتركين خارج سورية

الاشترك السنوي -داخل القطرأعضاء اتحاد الكتاب العرب 700 ل س - للأفراد2000ل.س -وزارات ومؤسسات2400ل.س - في الوطن العربي-للأفراد6000ل.س أو150$ - للوزارات والمؤسسات 8000س أو175$-خارج الوطن العربي-للأفراد 20000ل.س أو 360$ - للمؤسسات30000ل.س أو420$ والقيمة تسدد مقدماً بشيك مصرفي لأمر اتحاد الكتاب العرب -دمشق ويرجى عدم إرسال عملات نقدية بالبريد.

الآراء والأفكار التي تنشرها الصحيفة تعبر عن وجة نظر كاتبها

www.awu.sy

E-mail :
alesboa2016@hotmail.com

للنشر في الأسبوع الأدبي

يراعى أن تكون المادة:
- غير منشورة ورقياً أو عبر الشابكة.
- منضدة ومراجعة ومدققة مع مراعاة التشكيل حين اللزوم، وعلامات الترقيم.
- ألا تتجاوز المادة المرسلة /800/ ثمانمائة كلمة.
- يرفق مع المادة CD أو ترسل عبر البريد الالكتروني hotmail.com@alesboa2016
- يرفق مع المادة الصور المناسبة إذا لزم الأمر.

أعلام

مروان الخاطر

شاعر، وصحفي، ومعد برامج تلفزيونية وإذاعية.

ولد في (البوكمال) عام 1943.

عمل في التدريس في سورية واليمن، وهو اليوم رئيس لدائرة البرامج الثقافية في إذاعة دمشق.

نشر أعماله الشعرية ومقالاته في الصحف والمجلات العربية.

عضو جمعية الشعر.

مؤلفاته:

× الناي الجريح- شعر- الحسكة 1962.

× حمدان- شعر- دمشق 1967.

× أصوات في سمع الزمن المقهور-شعر- دمشق 1970.

× نشيد الغربة-شعر 1975.

× أخاف عليك فابتعدي- شعر- دمشق 1979.

× أغاني الفرات- شعر- دمشق 1994.

× الأعمال الشعرية- دمشق - 1994.

كتب عدداً من المسلسلات التلفزيونية ومنها: النار والفرقة- دواس الليل- الثعبان- لقمة عسيرة الهضم.

آخر الكلام

أ.محمد حديفي

من مقام الفقد ٣ من ٣

منذ أن وجد الإنسان فوق هذه الأرض، راح يسعى لاكتشاف معالم الأمكنة حوله من أجل أن يجد لنفسه مكاناً يلجأ إليه كي يتقي حر الصيف وبرد الشتاء، أو يدرأ عن نفسه خطر الوحوش الكاسرة، فتكون لديه ما يسمى بإلفة المكان، لأن المكان الذي يألفه يحمل ذكرياته بحلوها ومرها، وهي بالمحصلة أثيرة لديه لأنها تعتبر جزءاً لا يتجزأ من وجوده وكينونته، وهنا لابد أن يكون للمكان الذي أبصر المرء فيه النور أهميته، وقد يتجلى ذلك واضحاً حينما نغادر المكان الذي نشأنا به مكرهين لسبب من الأسباب، عندها يكبر المكان في أعماقنا، وتبدأ رحلة الحنين للعودة إليه تسيطر على تفكيرنا، وتشكل عقدة الأمل والهاجس اليومي الذي نعيشه، ونسعى جاهدين للعودة لهذا المكان الذي نسميه الوطن..

كنت أوضحت في المقالتين السابقتين كيف أن أعداداً كبيرة من السوريين أجبرتهم ظروف المعيشة القاسية في مرحلة الخمسينيات من القرن الماضي على المغادرة إلى أمريكا الجنوبية، تحملهم أحلامهم العريضة بالثراء السريع والعودة السريعة أيضاً محملين بالمال الوفير الذي سيغير حياة أسرهم الفقيرة المعوزة، ويخلصها من براثن الفقر الذي أثقل كاهلها، وحول حياتها إلى ما يشبه الجحيم، إذ ليس أثقل وأكثر إيلاماً على رب الأسرة من أن يقف عاجزاً لا حول له ولا قوة أمام متطلبات الأفواه الجائعة لصغاره الجائعين..

وقد أسلفت أن أخي الأكبر الذي كان في سن اليفاعة آنذاك كان من بين الذين غادروا الوطن قاصدين أمريكا الجنوبية، وتحديداً «فنزويلا» وأوضحت أن ظروفاً قاهرة أجبرته أن يغادر المكان الذي وصل إليه آمناً مع بعض رفاقه المهاجرين.

صادفته في رحلته الطويلة مصاعب أكبر من قدرة إنسان في مثل عمره أن يتحملها، أقتطف منها حكايةً لغرابتها وشدة وطأتها وقد رواها بتفاصيلها قبل أن يختطفه الموت غريباً وحيداً في ديار غريبة، لأن ظروف الحياة القاسية حالت دون عودته ليموت في وطنه، ويدفن في ترابه..

قال: حطت بنا الطائرة الصغيرة المعدة للنقل بين المحافظات في مكان وصلته بعد ساعتين من الطيران، فيه بعض المزارع، قصدها أصحابها الذين كانوا من ركاب الطائرة، وحين وجد نفسه وحيداً وغريباً لا يعرف من لغة تلك البلاد كلمة واحدة حاول أن يلحق بهم إلا أنهم نهروه وطلبوا منه عن طريق الإيماءات بأيديهم لكي يتبعهم، عندها راح يتفقد المكان الذي يمر فيه نهر عريض فوقع نظره على كوخ مبني من اللبن على حافة النهر، توجه إليه ليستقبله ثلاثة رجال دهشوا لرؤيته في هذا المكان الموحش، وعن طريق الإشارات والإيماءات أفهمهم أنه يريد الذهاب لأية مدينة قريبة، فأفهموه بالإشارات أيضاً أن لا سبيل أمامه إلا انتظار قارب لنقل الركاب يعبر مرةً واحدةً في اليوم، وقد مر منذ ساعتين، وما عليه إلا الانتظار لليوم التالي ليجيء قارب آخر في نفس التوقيت، لكنهم أفهموه أن عليه أن يقضي الليل وما تبقى من النهار في الغابة المجاورة.

كان الجوع والتعب قد أخذا منه مأخذاً، وقد وُضع أمام أمر واقع، وعليه أن يتكيف معه.

دخل الغابة وقرر أن يظل على أطرافها لأنه راح يسمع فحيح الأفاعي؛ الأمر الذي أثار عنده دافع الخوف والحذر، وحين بدأ الظلام يزحف إلى المكان راح يسمع أصوات حيوانات غريبة زادت من رعبه وخوفه، وبدأ التعب يتسلل إلى كامل جسده، ولكي يتقي شر الوحوش المفترسة صعد إلى شجرة كبيرة واتكأ على غصن ثخين وقوي، وحواسه كلها متيقظة تحسباً لوحشٍ ضارٍ وجائع يتسلق الشجرة ويلتهمه..

مرّ الليل بطيئاً وثقيلاً عليه، وعندها تذكر الأسرة والبيت ودفء الفراش وحنو الأم لكنه راح يحث نفسه على التجلد والصبر..

حين أشرقت الشمس نزل من الشجرة، وراح ينظف ملابسه من أسراب النمل التي هاجمته في الليل وأثخنته عضاً، فكان يرى انتفاخ واحمرار الأمكنة التي هاجمها النمل في جسده.

جلس على حافة النهر بانتظار القارب الذي وصل بعد طول انتظار وحين توقف على جانب النهر صعد إليه وجلس على كرسي فارغ، فاقترب منه الربان وقال كلاماً لم يفهمه إلا أن القبطان وحينما أدرك أنه لا يفقه لغته أشار إليه أنه يريد أجر الرحلة، فأفرغ جيبه ووضع المال في راحتيه وأومأ للقبطان كي يأخذ ما يريد، إلا أنه فوجئ بأن ما لديه لا يكفي أجراً للرحلة، عندها تذكر أن لديه ساعة يلبسها في معصمه، فخلعها من يده وقدمها للربان الذي أخذها وأعاد إليه قطعتي نقود معدنيتين، بعد قليل سمع صوت محرك القارب فاستبشر خيراً وهدأ قليلاً، إذ أحس بالأمن والطمأنينة فراح في نوم عميق، وبعد مرور عدة ساعات لم يعرف عددها أحس بيد الربان توقظه، فأفاق مذهولاً لكنه رأى مدينةً مكتظة بالأضواء والحركة فهدأت نفسه قليلاً ونزل من القارب يحمل حقيبته الصغيرة جداً التي وضع بها بعض الثياب.

حين دخل أول شارع في المدينة قرر أن يبحث عن مكان يتناول فيه الطعام، فلفت نظره مطعم دخل إليه، وجلس على طاولة ثم طلب بإشارة من يده قائمة الطعام، وهو الذي لا يملك سوى ما يعادل ليرتين، عندها اختار من القائمة ما ثمنه ليرتين ووضع إصبعه فوقه، فراحت النادلة وجلبت له صحناً من الفخار مملوءاً بحساء؛ تبين فيما بعد أنه لمرضى السكر، وحين احتسى أول ملعقة منه لم يستسغ طعمه فنهض ووضع قطعتي النقود اللتين بحوزته وغادر هائماً على وجهه ولم يدر أين سيتجه، وهو الغريب المعدم الجاهل باللغة، والذي لا يعرف أحداً في هذه المدينة، عندها وقف إلى جانب جدار وأجهش بالبكاء، وكانت تلك أول مرة يبكي فيها منذ أن وطئت قدماه هذه الديار، فأراحه البكاء قليلاً ثم تجلد ومشى في شارع طويل مضاء وأرصفته تعج بالمارة، وقد بدأ يتفرس الوجوه عله يلتقي بعربي يشكو له همومه، ليمد له يد المساعدة، أخيراً شاهد فندقاً كتب على لوحة أمامه باللغتين الإسبانية والعربية مطعم لبنان عندها أحس أنه ولد من جديد فدخل المطعم، وعرّف بنفسه حيث استقبل بحفاوة بالغة وتمت استضافته وتأمين عمل مؤقت له.

بعد شهور غادر لمكان آخر وراح يجوب الديار حيث ثبت له أن كل الذي كان يسمعه ويطمح لتحقيقه ما هو إلا أضغاث أحلام فالحقيقة الحقيقة كانت مرةً وقاسية.

بعد مرور أكثر من نصف قرن على سفره هده المرض وأقعده عن العمل وحيداً في بيته يبكي أحلامه الضائعة وحظه العاثر وخيبة العودة إلى الوطن..

بالأمس القريب جاءني هاتف يحمل لي النبأ المفجع.. لقد مات شقيقك وحيداً في منزله وسيتم دفنه في هذه الأرض؛ لاستحالة نقل جثمانه إلى تراب الوطن.

قال لي مرةً: إذا مت غريباً في هذه الديار الغريبة ولم يتم نقل جثماني لأُدفن في تراب الوطن، فاذهب إلى قبر أمي وأبي واقرأ لهما الفاتحة واطلب منهما أن يسامحاني لأنني كسرت أحلام الأسرة وخذلتها..

mouhammad.houdaifi@gmail.com

الأسبوع الأدبي

جريدة تعنى بشؤون الأدب والفكر والفن
تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق
أسست وصدرت ابتداءً من عام ١٩٨٦

المدير المسؤول:
أ.د. نضال الصالح
رئيس اتحاد الكتاب العرب

رئيس التحرير:
أ.محمد حديفي

مدير التحرير:
د.حسن حميد

هيئة التحرير:
سليمان السلمان ، عدنان كنفاني
د. عيسى الشماس ، فادية غيبور
نبيل نوفل ، د. نزار بني المرجة

الإشراف الفني:
نضال فهيم عيسى

رئيس القسم الفني:
مها حسن

الدكتور حسني سبح

أحد أساطين تعريب العلوم الطبية

صدر عن مجمع اللغة العربية كتاب تحت عنوان (الدكتور حسني سبح أحد أساطين تعريب العلوم الطبية) للدكتور صادق فرعون، وقف فيه على جوانب مهمة من حياة الدكتور حسين سبح وما شغله من العلوم انتباهاً وتأليفاً ورعاية، وما شغله من المسؤوليات والرتب في حياته العلمية.

ولد الدكتور حسني سبح سنة 1900، وتوفي سنة 1986 عاشها كلها في خدمة العلوم والمعارف وأهلها. وقد أتقن من اللغات: التركية والفرنسية والألمانية والإنكليزية إضافة إلى عشقه للغة العربية، وكان من بين المؤسسين لكلية الطب والجامعة السورية معاً، وكان عميد الكلية ورئيساً للجامعة. وضع مصطلحات علمية /طبية كثيرة باللغة العربية، وشغل عضوية مجمع اللغة العربية، وغدا رئيساً للمجمع بالانتخابات منذ عام 1968 وحتى وفاته.

أسس جمعية المواساة السورية سنة 1943، وأسهم في بناء مشفى المواساة ليكون عوناً لدارسي الطب في مدينة دمشق.

له مؤلفات زادة على العشرين، ومقالات كثيرة نافت على (157) مقالة. نال أوسمة عدة.

وفي الكتاب مقالات عدة لأدباء وعلماء وكتّاب تحدثوا عن الدكتور سبح، وتلتها مجموعة من الصور الخاصة بنشاطات الدكتور سبح العلمية والثقافية.

جاء الكتاب في نحو مئة صفحة من الحجم الكبير.